جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب و اللغات
االآداب و اللغة العربية

مذكرة ماستر

لغة وأدب عربي
دراسات أدبية
أدب عربي حديث ومعاصر

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
طوارف عبد الحكيم

يوم: 07/06/2023

الأنساق الثقافية في رواية دروز بلغراد لربيع جابر

لجنة المناقشة:

آجقو سامية	د	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
بوضياف غنية	د	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا و مقررا
قطاف تمام عبد الكريم	د	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية : 2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مر النقد الثقافي عبر العصور المتعاقبة بالعديد من التحولات والتطورات في مجاراته لتطورات الأنواع الأدبية المختلفة، بداية من النقد الانطباعي في عصر الجاهلية وصولا إلى النقد الثقافي المعاصر، هذا الأخير الذي ظهر كرد فعل على البنيوية وطريقة دراستها وتحليلها للأعمال المختلفة خاصة الرواية، هذا الجنس الأدبي الذي نال حظا وافرا من الدراسات منذ نشأته واهتماما واسعا عند النقاد، وهو الذي منح الكاتب مجالا فسيحا لجأ إليه للتعبير عن مكنوناته ومشاركة الآخرين أفكاره بمنتهى الحرية

ولعل أبرز ما جاء به النقد الثقافي نظرية الأنساق الثقافية التي تعتبر حلقة تدور حولها مختلف تمظهرات الواقع بأنساقه الدينية والنفسية والاجتماعية، الكامنة في لا وعي الكاتب والقارئ على حد سواء، والتي تعمل على تعرية البنى المكونة للخطاب الأدبي باعتباره حادثة ثقافية، لا تستشف إلا من خلال إضاءة الأنساق الثقافية المضمرة في حدود النتاج الأدبي

وإن الرغبة الشديدة في دراسة حيثيات المقاربة الثقافية التي تسلط الضوء على مختلف الأنساق داخل كيان النص، وصبغة الحداثة والجدية التي يتصف بها النقد الثقافي هي التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، لنعالج بآليات المقاربة الثقافية رواية تحوي العديد من الأنساق المضمرة والتي اتخذت من الجمال الفني وسيلة لتمرير هذه الأنساق، حتى يكون عنوان الدراسة: الأنساق الثقافية في رواية دروز بلغراد (حكاية حنا يعقوب) وهو ما فرض علينا طرح الإشكالية الاتية :

ما هو النقد الثقافي؟ و كيف نستطيع استخراج الأنساق الثقافية من نص ما ؟ وما هي أبرز الأنساق الثقافية في رواية " دروز بلغراد".

ومن أجل الإجابة على هذه المجموعة من التساؤلات اعتمدت على خطة بحث ابتدأنا فيها بمقدمة وفصلين اثنين وخاتمة ، الفصل الأول كان فصلا نظريا جاء تحت عنوان : النقد الثقافي والنسق الثقافي دراسة في المفاهيم ، تطرقت فيه إلى مفهوم كل منهما ثم نشأة النقد الثقافي ثم آليات الكشف عن الأنساق ثم نقف بعد ذلك عند أنواع الأنساق الثقافية .

أما الفصل الثاني فكان فصلا تطبيقيا إجرائيا عنونته ب : تجليات الأنساق الثقافية في رواية دروز بلغراد ، تطرقنا في بدايته إلى النسق الديني ثم النسق النفسي فالاجتماعي فالحضاري تباعا

وكما يقتضي الحال ذيلت هذا البحث ا بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج المتحصل عليها في هذه الدراسة وملحقا أدرجت فيه ملخصا للرواية

وكنا قد اعتمدت في رحلة محاولة استكناه الأنساق على منهج النقد الثقافي مع الاستعانة بآليات الوصف والتحليل حسب ما تقتضيه الدراسة والمقاربة الثقافية

وقبل التطرق إلى أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في دراستنا وجب التنويه إلى وجود مجموعة من الدراسات التي كانت قد سبقتنا في الخوض في هذا المجال نذكر منها : الأنساق الثقافية في رواية " الخابية" لإلهام وسطاني تحت إشراف الدكتور هشام بلخير.

وكذلك الأنساق الثقافية في رواية "كريسمس في مكة "

أما أهم المصادر والمراجع فهي :

النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية لعبد الله الغذامي

نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة (نظرية الأنساق المتعددة) لجميل حمداوي

المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب لنعمان بوقرة

وكما هو الحال فقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات التي كانت قد وقفت في طريق إكمال هذا البحث لعل أبرزها كثرة الدراسات في هذا المجال التي تعود جلها إلى دراسات الأب الروحي للنقد الثقافي العربي عبد الله الغذامي الذي تعود له الريادة في هذا المجال

وما كان هذا البحث ليكتمل على النحو الذي هو عليه لولا فضل الله عز وجل وتوفيقه ، ونصائح وتوجيهات الأستاذة " غنية بوضياف " التي لا تكفي كل عبارات الشكر الجزيل التعبير عن مدى امتناننا لما قدمته لنا علميا أكاديميا و إنسانيا

الفصل الأول:
النقد الثقافي والنسق الثقافي
دراسة في المفاهيم

الفصل الأول: النقد الثقافي والنسق الثقافي

دراسة في المفاهيم

1- النقد الثقافي

_مفهوم النقد الثقافي

_أصل ونشأة النقد الثقافي

2-النسق الثقافي

_مفهوم النسق الثقافي

_خصائص النسق الثقافي

_وظيفة النسق الثقافي

_آليات الكشف عن الأنساق

_أنواع الانساق

تمهيد:

إذا كانت المناهج النقدية السياقية على غرار المنهج التاريخي والمنهج النفسي تصب جل اهتمامها على السياق الخارجي الذي يعد المخاض الذي تولد منه مضمون الخطاب الأدبي ، وعلى العكس من ذلك المناهج النسقية التي سعت إلى تحليل النص الأدبي باعتباره تركيبا منفصلا عما يحيط به و دعت إلى دراسة النص من النص و إخراج الكاتب من العملية النقدية ، فإن النقد الثقافي مزج بين المناهج السياقية و النقدية من خلال دراسة فكر وإيديولوجية الكاتب انطلاقا من عمله الإبداعي .

وقد سعى كذلك إلى تحرير الخطاب من مبدأ الخضوع و التأسيس لفكرة ثقافة المركز ز مواجهة هيمنة النسق و تسليط الضوء على المهمش و ذلك على اعتبار أن النص علامة ثقافية بالدرجة الأولى.

"هذا المنهج الذي يعد منهجا حديثا في الساحة النقدية حيث كانت الإرهاصات الأولى لظهوره في أوروبا في القرن الثامن عشر ميلادي في محاولات لم تكسب سمات محددة على المستويين المعرفي والمنهجي إلا مع بداية التسعينات من القرن العشرين حين دعا الناقد الأمريكي " فنسنت ليتش" إلى نقد ثقافي مابعد البنيوي يخلص النقد المعاصر من نفق الشكلانية .

لقد تجسدت أهمية الدراسات الثقافية الخاصة بالأدب في ردم الهوة بين الفن و المجتمع ، تلك الهوة التي صنعتها المناهج الشكلية بفعل انشغالها بالفن و إقصائها للمجتمع فكان انشغال هذه الدراسات (الدراسات الثقافية) بالاثنين معا مؤكدة أن ثمة علاقة أساسية بينهما ، كأسرة مركزية للنص نلظرة إليه على أنه وسيلة و مادة خام تستخدم لاستكشاف أنماط معينة مثل الأنظمة السردية والإشكاليات الإيديولوجية و أنساق التمثيل ، وهذا لا يتحقق إلا بوقوف هذه الدراسات ".

فالنص من هذا المنظور موسع ليشمل النص الأدبي وغيره من النصوص .

أولا : النقد الثقافي

"يعد النقد الثقافي من أهم نظريات ما بعد الحداثة، التي ظهرت في الفترة ما بين 1970م إلى 1990 سنة ميلادي، ويقصد بنظريات ما بعد الحداثة التيارات الأدبية والنقدية التي ظهرت ما بعد الحداثة البنيوية و السيميائية واللسانية و ارتبط ظهورها بتطور وسائل الإعلام جاء كرد فعل عن البنيوية اللسانية والمقولات المركزية الغربية الرامية إلى السيطرة والاستغلال بهدف هدم الفلسفة وتعرية المقولات المركزية الغربية".[1]

كما جاءت نظريات ما بعد الحداثة لتفويض الميتافيريقا الغربية وتحطيم المقولات المركزية التي هيمنت قديما وحديثا على الفكر الغربي كاللغة والهوية والأصل، جميع المفاهيم التقليدية المتعلقة بالهوية واللغة إذ نسمع كثيرا من الطلاب الأجانب الذين يدرسون الأدب الإنجليزي ينعتون شيء لا يفهمونه أو يصبرون عنه بما بعد حداثي ، وكثيرا ما تكشف نصوص الأدبية في ما بعد الحداثة عن غياب الانغلاق.[2]

وقد استخدمت هذه النظريات آليات متعددة كال.... والتفكيك والتقويض والهدم وغيرها من مرتكزات ما بعد الحداثة، كما ارتبطت الدراسات النقدية الثقافية كثيرا بالرواية العربية على اعتبارها تحمل في ثناياها كثيرا من الأنساق تكشف عن خبايا الفكر العربي إذ لم تعد مقتصرة على الانطباع والذوق ولا على التقيد بمنهج محدد إنما انفتحت على آفاق جديدة تتمثل في كشف المخبوء اعتمادا على مرجعيات ثقافية.[3]

---

[1] سعد البازغي، ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي. إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا،المركز الثقافي المعاصر، المغرب، ط3، 2002م ،45.

[2] المرجع نفسه، ص45.

[3] ينظر: سعد البازغي، ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي. إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، ص 45،46.

ولا يقتصر هدف دراسات النقد الثقافي في كشف المخبوء والمسكوت عنه وتعرية البنية السطحية للأنساق ، وإنما تهدف إلى العمل على تعدد القراءات والتأويلات للخطابات والنصوص الأدبية وبالتالي كسر أحادية القراءة من خلال تفسير وتحليل وإعطاء رؤى وقراءات مختلفة تختلف باختلاف مرجعية القراء ."الدراسات الثقافية هي بالأساس تنظيم حول الشعوب ، وفق ذلك ما دامت التكوينات التاريخية المتصلة بالعرق والطبقة والجذر ، وهي في كثير من جوانبها بنى رمزية ، مجتمعات متخيلة وحدود متخيلة . فإن التحليل الثقافي يصبح أساسا لفهمها"[1]

أي أن الدراسات الثقافية عبارة عن أنساق تحمل ما يتعلق بالشعوب ،فمثلا الدراسات الثقافية المرتبطة بالخطاب لعربي، تجعلنا نفهم طبيعة تفكير الإنسان العربي في جوانبه متعددة لأن لغة هذا الخطاب ليست لغة عادية وبسيطة مباشرة ، وإنما هي لغة رمزية إيحائية تحمل في ثناياها كثير من التأويلات والأفكار ، كما يسعى النقد الثقافي إلى الالتقاء والاستفادة من الدراسات الثقافية بهدف سبر إراء المسكوت عنه والمضمرات المكونة للخطابات ومدى تفاعلها مع الفكر الإنساني.

1-تعريف النقد:

ونقسم مصطلح النقد الثقافي إلى مصطلحين اثنين هما : " النقد" و " الثقافة " لذا علينا أن نتطرق لتعريف كل منهما على حدة:

[1] مايكل دينينغ: الثقافة في عصر العوالم الثلاث : تر:أسامة العزولي ، المجلس الوطني للثاقفة والفنون والآداب، الكويت ، دط،2013م،ص183.

1-1 لغة

ورد في معجم لسان العرب " مفهوم النقد ". النقد: خلاف النسيئة والنقد والتنقاد تمييز الدراهم و إخراج الزيف منها، أنشد سيبويه:

ننقي يداها الحصى في كل هاجرة نقي الدنانير تنقاد الصياريف

" قد نقدها ينقدها . نقدا وانتقدها وتنقدها ونقد إياها نقدا :أعطاه فانتقدها أي قبضها"[1]

اما في معجم " مقاييس اللغة " فقد وردت مادة (ن.ق.د) بمعنى نقد الدرهم وذلك أن يكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك.[2]

كم وردت مادة (ن،ق،د) في معجم الوسيط " نقد الشيء- نقدا: نقده ليختبره أو ليميز جيده من رديئه(...) ونقد الدراهم و الدنانيير وغيرهما نقدا ، وتنقادا ميز جيدها من رديئها، ويقال نقد النثر ونقد الشعر ، أظهر ما فيها من عيوب أو محاسن ".[3]

نلاحظ من خلال المفاهيم اللغوية السابقة أن النقد معناه التقييم وإخراج المزيف وتمييز الجيد من الرديء.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب ، دار صادر ، بيروت، دط، دت ،ص425، مادة (ن،ق،د).

[2] احمد ابن فارس: مقاييس اللغة ، تحق: عبد السلام هارون، دارالفكر للنشر والتوزيع، مصر، دط، ج5، ص467.

[3] مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م، ص944.

2-1 اصطلاحا:

يقدم النقد قراءة ذاتية حول موضوع ما أو فكرة معينة والتعبير عن موقف قد يكون مبنيا على الذوق و الانطباع وهذا ما يعرف ب"النقد الانطباعي " الذي كان سائدا في النقد العربي القديم خاصة في العصر لجاهلي ، أو قد يتبنى أسسا و ضوابط علمية المهم ان يقدم المتلقي تفسيرا وشرحا وأن يكون قادرا على التمييز "فالنقد في حقيقته تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة أو إلى الشعر خاصة ،يبدأ بالتذوق ؛أي القدرة على التمييز ، ويعبر منها إلى التعليل والتحليل والتقديم ".[1]

ومن النقاد الغرب الذين قدموا مفهوما للنقد نجد ' سكاليني ' الذي إعتبر أن وضيفة النقد تكمن في دور القاضي الحاكم بالخطأ أو الصواب .[2]

أما ميشال فوكو michel foucout فقد رأى أن النقد "إنطاق المعاني الخرساء النائمة في الكتابات التي يكتبها الأدباء عبر القرون الطوال فكأن النقد تمرير خطاب سجين قديم متسم بالصمت في نفسه في الخطاب الأدبي أكثر ثرثرة وفي الوقت ذاته أقدم قدما وأكثر معاصرة."[3]

فوظيفة الناقد برأيه إخراج المعاني المضمرة تحت الألفاظ وتعريتها وكشفها لمعرفة المعنى الصريح والمقصود منه، فقد برزت خلفية فوكو في هذا المفهوم فهو واحد من أشهر منظري نظريات ما بعد الحداثة ،حيث شبه الخطاب بالمسجون المغرق على نفسه فالنص يظل مستغلقا دلاليا غلى أن يأتي

---

[1] إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني عشر حتى القرن الثامن عشر ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، طبعة4، 1983م، ص14.

[2] ينظر :عبد المالك مرتاض : في نظرية النقد ، دار هومه ، الجزائر، 2010م، ص29.

[3] ينظر: المرجع نفسه ،ص 30.

الناقد فيقوم بتحريره وكما قدم ' شوقي ضيف ' مفهوما للنقد ويعتبر من أكثر المفاهيم دقة يقول: " النقد تحليل القطع الأدبية وتقدير مالها من قيمة فنية ".[1]

هذا المفهوم يقترب كثيرا من المفهوم اللغوي إذ يشمل تحليل الخطاب الأدبي إلى أجزاء مصغرة ثم تقييمها وتقويمها بإعطاء حكم نقدي عليها إن كانت جيدة أم رديئة

2-تعريف الثقافة:

2-1- لغة:

وردت مادة (ث،ق،ف) في معجم لسان العرب بمعنى " ثقف الشيء ثقفا و ثقافا و ثقوفة.. ورجل ثقف وثقف وثَقف :حاذق فهم ... وثقف الرجل ثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا خفيفا ".[2]

وهنا التقى معنى كلمة ثقافة مع المعنى الحديث الذي طورته المعاجم الغربية فقد أخذ معناها يدور في فلك الحذق والخفة والفطنة.

أما في ' معجم مقاييس اللغة ' فقد جاءت بمعنى ثقفت هذا الكلام من فلان ورجل ... لَقفٌ، وذلك أن يصيب علم ما يسمعه على استواء، ويقال ثقفت به إذا ظفرت به.[3]

---

[1] شوقي ضيف: فنون الأدب العربي ، النقد ،دار المعارف، القاهرة ،ط5 ،دت، ص09.

[2] ابن منظور : لسان العرب ، (مادة، ث، ق، ف) ، ج9، ص492.

[3] احمد بن فارس: مقاييس اللغة ،ج1، ص383.

أما في ' معجم الوسيط ' فقد وردت لفظة ثقافة بمعنى" ثقف ثقفا صار حاذقا فطنا فهو ثقف ... ثقف الرجل ثقافة : فهو ثقيف وفلان: صار حاذقا فطناً ... الثقافة : العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها ".[1]

ومن خلال هذه المفاهيم نرى بان المعنى اللغوي حمل الدلالة نفسها تقريبا حيث دلت على معاني الفطنة والحذر والخفة والمعرفة الشاملة

2-2- اصطلاحا :

تعتبر " الثقافة" الوعاء العامل لعادات وتقاليد وأفكار وأحداث الجماعات الشعبية كما تعتبر مصدر اختلاف هذه الجماعات وهي البصمة التي تميز الفرد عن غيره من الأفراد ووجود الثقافة يدل على وجود التباين الإنساني على مستويات عدة كالمستوى العرقي واللغوي. والثقافة تتميز بكونها مغيرة لعناصر الطبيعة وفق قواعد وقوانين تفرضها طبيعة التفكير الجمعي للجماعات الشعبية ما من شيء طبيعي محض لدى الإنسان حتى الوظائف البشرية المتناسبة مع الحاجات فيزيولوجية مثل الجوع والنوم (...) تزودها الثقافة بمعلوماتها ، لا تستجيب المجموعات والجماعات لهذه الحاجات بنفس الطريقة ".[2]

"...لقد تعددت واختلفت مفاهيم الثقافة بحسب توجه كل معرف لها كما أن مفهومهما عرف تطورا مع مرور الزمن إلى أن تكون معناها مع بدايات القرن الثامن عشر فمن خلال هذا المنطلق نستنتج تغيير معناها منذ بدايتها إلى غاية القرن الثامن عشر"[3]

---

[1] مجمع اللغة العربية : معجم الوسيط، ص98.

[2] دينيس كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، تر: منير السعيداني ، المنظمة العربية للترجمة ،بيروت، لبنان ، ط1، 2007م، ص10.

[3] ينظر: المرجع نفسه ، ص16،17.

وقد حصر مالك بن نبي مفهوم الثقافة في الجانب الأخلاقي والقيمي مستبعدا في ذلك الجوانب الأخرى كالفكري مثل منطلقا في ذلك من إيديولوجية الدينية الإسلامية حين عرفها في كتابه " مشكلة الثقافة " قائل " هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته ، وتصبح لا شعورياً، لعلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط" [1]

كما أنه أعطى للثقافة خاصية التوارث فالإنسان يورث من بيئة تلك القيم والأخلاق الموجودة فيها .

3 مفهوم النقد الثقافي:

لقد أدت الممارسة النقدية الثقافية التي يعالج بها العمل الأدبي وفعاليتها إلى انتشار وشهرة النقد الثقافي الذي عرف صدى في خضم الحركة النقدية الحديثة والمعاصرة.

"النقد الثقافي مصطلح حديث جدا ولم يقدر له الذيوع أخيرا إلا بمتغيرات وعوامل أدت إلى العولمة وما بعد الحداثة ، فلا يعد نتيجة لهما بقدر ما هو شريك ينبع من نفس المصادر، وينتسب إلى ذات المناخ ، وهو ليس منهجا من بين المناهج آخرى، أو مذهبا أو نظرية كما أنه ليس فرعا أو مجالا متخصصا من بين فروع المعرفة ومجالاتها بل هو ممارسة فعلية تتوفر على درس كل ما تنتجه الثقافة من نصوص سواء كانت مادية أو فكرية ".[2]

ومن هذا التعريف نفهم أن مصطلح النقد الثقافي مصطلح جديد في الأوساط النقدية وهو وليد حركية العولمة ورؤية ما بعد الحداثة وهو كذلك لا يصنف على أنه منهج ولا هو نظرية ولا مذهب... بل هو ممارسة فاعلية تدرس ما تنتجه الثقافة " في دلالته العامة يمكن القول إن النقد

---

[1] مالك بن نبي: مشكلة الثقافة ، تر: عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ،بيروت ،لبنان ،2000م،ص 74.

[2] صلاح قنصوة: تمارين في النقد الثقافي ، دار ميردت، القاهرة، ط1 ،2008م، ص06.

الثقافي كما يوحي اسمه نشاط فكري يتخذ من الثقافة من شموليتها موضوعا لبحثه وتفكريه ، ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها ".[1]

ومنه نستنتج أن للنقد الثقافي سمة مميزة هي سمة النشاط، نشاط فكري مادة بحثه ودراسته الثقافة لكل ما تشمله ، فيعبر عن صفاتها ومظاهرها وتطوراتها .

ويقول جميل حمداوي في تعريف النقد الثقافي :" هو عبارة عن مقاربة متعددة الاختصاصات، تنبني على التاريخ وتستكشف الأنساق والأنظمة الثقافية المضمرة في اللاوعي اللغوي والجمال الأدبي ".[2]

ويمكن اعتبار هذا التعريف أقرب التعاريف شمولية ودقة ، فهو إذن مقاربة ذات رؤى متعددة تكمن وظيفتها في استكشاف الأنساق الثقافية المضمرة الكامنة في لاوعي اللغة والأدب و الجمال.

وإن تضاربت وتعددت واختلفت الآراء حول تصنيف المصطلح ، وتخبطه بين الممارسة والفاعلية والنشاط وحتى المذهب ، فإن المتفق عليه أنه نقد يهدف إلى دراسة مكونات الثقافة المكنونة في النصوص النحوية والشعبية على حد سواء " وأهم ما يقوم عليه النقد الثقافي هو تجاوز الأدب الرسمي الجمالي إلى تناول الانتاج الثقافي أي كان نوعه ومستواه"[3]

" فالنقد الثقافي يقوم بدراسة الخطاب في حد ذاته دون التطرق إلى كونه شعرا أو نثرا أو كلاماً شعبيا ، فيقوم بتحليله لكشف أنظمته العقلية وغير العقلية بتعقيداتها ومعارضاتها، أي أنه يستكشف

---

[1] ميجان الرويلي ، سعد البازغي : دليل النقد الأدبي، مركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،المغرب ،ط3 ،2000م، ص305.

[2] جميل حمداوي: نحو نظرية أدبية نقدية جديدة ، دار الريف للطبع والنشر الالكتروني ، الناظور ، تيطوان، المملكة المغربية، ط1، 2016م، ص16.

[3] ابراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكير ،دار المسيرة، عمان ،الأردن، ط4، 2011م، ص143.

الجماليات الثقافية في الخطاب بعيدا عن حدود الدراسات النصية التي تستكشف جماليات الكلمة داخل إطار النص المغلق "[1]

إن النقد الثقافي نقد يدعو إلى إزالة وإزاحة الفوارق بين ما هو رسمي وغير رسمي ويسعى بأدواته التحليلية إلى استخراج التمظهرات الثقافية المضمرة أو الجلية،همها دراسة جماليات الثقافة ضمن الخطاب مهما كانت صفته.

4- أصل ونشأة النقد الثقافي :

- تشترك العلوم على اختلافها في أن لكل منها مصدر متجذر في أصول سبقته تأسيسا ونشأة ، وحكم أن الثقافي في ركيزته الثقافة فهو يعد من أوسع المجالات المعرفية التي استمدت معالمها من علوم شتى ، فكان من المهم الوقوف على أهم أصول ومرجعيات هذا النقد التي أسهمت في نشأته وتطوره

4-1- التاريخانية الجديدة :

"يرى الدارسون أن الفضل في طرح مصطلح الجماليات الثقافية يعود على (ستيفن قرين بلات) steven green plat مطورا به مصطلح أسبق منه هو مصطلح التاريخانية الجديدة ، وقد كان 1982م هذا المصطلح في عدد خاص ليصف به مشروعا في نقد خطاب النهضة خاصة الإنجليزي و الشكسبيري، ولاقى المصطلح قبولا عريضا لدى جماعات النقد ما بعد البنيوي ونظريات الخطاب، إذ به عبر الدارسون الحدود فيما بين التاريخ والانثربولوجيا والفن والسياسة والأدب والاقتصاد فتمت

[1] إيمان بوقلاح: التقد الثقافي والتاريخانية الجديدة، مجلة كلية الأداب واللغات ،عدد:1 ،جامعة خنشلة ، الجزائر، د.ت، ص80،81.

الإطاحة بقاعدة اللاتداخل التي كانت تحرم الدارسين –دارسي اللسانيات– من التعامل مع أسئلة السياسة والسلطة ومع ما هو في صلب حياة الإنسان ".[1]

وعندما كانت التاريخانية الجديدة تسعى لكسر القيود التي تمنع الخوض في السلطة و السياسة وما يحيط بالفرد في مجتمعه ، صار الأدب و الخطاب المنتمي إلى هذا المجال حلقة وصل بين ما هو أدبي وما يحيط بالبيئة الأدبية

"إذ ترى التاريخانية الجديدة أن النص المتشكل عبارة عن شبكة من الأنساق التاريخية والثقافية المضمرة التي امتصها بطريقة واعية أو غير واعية ، وبهذا يكون غنيا بالمتعاليات النصية ، وبالمعارف السابقة المخزنة في الذاكرة والمجتمع والتاريخ ".[2]

وهي بذلك نقد نظرة نحو خلق خطاب أدبي يتشكل من منطوقات ومضمرات اجتماعية ،اقتصادية، سياسية ...كي يكون العمل الأدبي مرآة الحياة.

4-2- الدراسات الثقافية:

"إذا حاولنا الوقوف عند المعنى الذي تحمله هذه الجملة (دراسات ثقافية) فإننا بلا شك سنتوقف عند الغاية التي حاولت هذه الدراسات من خلالها بعث رؤية مغايرة للنص الأدبي ، وهي رؤية لا تنطلق من كون إنتاج الأدبي بنية لغوية شكلية أو من كونه أثرا اجتماعيا فحسب ، بل هو وسيلة وأداة نحو استكناه منتجات الثقافة

حيث تغيرت مركزية النص كبنية لغوية في الدراسات النقدية الشكلية تماما مع الدراسات الثقافية الخاصة بالأدب ، فهذه الدراسات كسرت مركزية النص ولم تعد تنظر إليه على أنه نص ولا إلى

---

[1] ينظر:عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، المركز الثقافي العربي ، المملكة المغربية ، الدار البيضاء ،ط3، 2005م ،ص42.

[2] ينظر: إيمان بوقلاح: النقد الثقافي والتاريخانية الجديدة، ص85.

الأثر الاجتماعي الذي قد يظن أنه نتاج النص ، لقد أخذت هذه الدراسات تنظر إلى وسيلة وأداة في الوقت نفسه وبهذا غدا مفهوم النص حسب هذه الدراسات لا يتعدى كونه مادة خام يستخدم لاكتشاف أنماط معينة مثل الأنظمة السردية و الإشكالات الايديولوجية وأنساق التمثيل وكل ما يمكن تجريده من النص، فالنص ليس هو الغاية لهذه الدراسات وإنما غايته المبدئية هي الأنظمة الذاتية في فعلها الاجتماعي، ولعل أفضل ما تقوم به الدراسات الثقافية هو وقوفها على عمليات إنتاج الثقافة وتوزيعها واستهلاكها".[1]

4-3- المادية الثقافية :

بالإضافة إلى التاريخانية الجديدة والدراسات النقدية، عدت المادية الثقافية تأصيلا للنقد الثقافي ،ركزت كل اهتماماتها على الهامش مقابل المركز ،ضمن ممارسات مختلفة بالتحليل النفسي والحركة النسوية والماركسية وغيرها...

فإلى جانب التاريخانية الجديدة كانت المادية الثقافية مظهراً من مظاهر الدراسات الثقافية واتجاها نقديا آخر كسر حدود الدراسات النقدية التقليدية إذ وجد فيه كثير من الدارسين نسخة بريطانية لنظيرتها الأمريكية (التاريخانية الجديدة) ، فقد سعت كنظيرتها إلى ضم الأعمال التي تتناول ثقافات الفئات التابعة والمهمشة واحتواء بعض الممارسات النقدية النسوية والتحليل النفسي والنقد الماركسي ..."[2]

ثم إن النقد الثقافي كان قد تأسس من صلب مجموعة من المرجعيات التي أسهمت في تزويده بأدوات التحليل وكذا سمات الثقافة وهي:

---

[1] ينظر :عبد الله حبيب التميمي ، سحر كاظم حمزة الشجيري : " سيرورة النقد الثقافي عند الغرب " ، مجلة جامعة بابل ، عدد1، مج 22، كلية العلوم الانسانية ، العراق، 2014م، ص165.

[2] ينظر: المرجع نفسه ،ص 168.

أ- علم الاجتماع:

إن أغلب النصوص الأدبية إن لم نقل كلها لا تتضح صورتها خاصة فيما يتعلق بالدراسة النقدية الثقافية إلا من خلال تتبع ورصد تركيبة المجتمع والمنظور الاجتماعي والتحليلات الاجتماعية ويقوم المنظور الاجتماعي بتزويدنا بعدد من الأدوات لتحليل النصوص ودراسة تأثيرات هذه النصوص ، ويدعم المنظور الاجتماعي مفهومنا عن أدوار الأعمال الفنية (بجميع الأنواع)، التي تلعبها في المجتمع وتزويد النقاد الثقافيين بعدد من المفاهيم ذات الأهمية الكبرى في تنفيذ دراستهم".[1]

ب- التحليل النفسي :

قبل الحديث عن العلاقة بين النقد الثقافي وعلم النفس والتحليل النفسي على وجه التخصيص وجب علينا تعريف التحليل النفسي لتتضح الصورة أكثر ، فهو طريقة من طرق البحث والعلاج النفسي ، تقوم بالكشف عن أسبا المرض النفسي في لاشعور المريض أو فيما يسميه " فرويد" العقد النفسية الكامنة ، وتركز نظرية التحليل النفسي على مفهوم فرويد في الجهاز النفسي الذي يتألف من الهو و الأنا على مفهومه في الكبت و اللاشعور ".[2]

فيستعير النقد الثقافي آليات التحليل النفسي للكشف عن مكبوتات الخطاب الأدبي المضمرة خلف جمالياته، هدفه من ذلك فهم وتفسير المناطق العاطفية النفسية و الحدسية " والأمر المذهل هنا عن فكرة التحليل النفسي لأتباع فرويد وأتباع يانغ هو الدرجة التي عندها يمكن استخدام الأفكار المصاحبة لها على تفسير وتحليل النصوص الأدبية والأعمال الأدبية والظواهر الثقافية ، وتمكننا نظرية التحليل النفسي من تفسير وفهم النصوص بأساليب لا تقدر المنظورات الأخرى تحقيقها ، ويرجع

---

[1] مصطفى الضبع: "أسئلة النقد الثقافي ، مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم ، المنيا 23-26 سبتمبر 2003م، ص6،7.

[2] عبد الله الغذامي – عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي؟، دار الفكر ،دمشق، سوريا، ط1، 2004م، ص216.

هذا إلى أن نظرية التحليل النفسي تمكننا جزئيا من فهم مناطقنا النفسية ،العقلية و اللا عقلية المكبوتة المخفية والمتخفية ".[1]

ج-علم العلامة (السيمولوجيا):

تعد السيمولوجيا من أهم العلوم التي استفاد منها النقد الثقافي أثناء المقاربة الثقافية فهو يركز على كيف يقدم الناس المعاني في استخدامهم للغة وفي سلوكهم والأساليب الإبداعية بجميع أنواعها ، فما يقوم به هو أن يزودنا بأساليب أكثر تنقيعا لتفسير هذه الرسالات وإرسالها ، لذا لا يبتعد النقد الثقافي من السيمولوجيا خاصة وأن الثقافة من وجهة النظر السيميوطيقية مجموعة من الأنظمة الخاصة المتدرجة أو يمكن اعتبارها كما من النصوص المرتبطة بسلسلة من الوظائف".[2]

إذا فالسيميوطيقيا مرجع من أهم مرجعيات النقد الثقافي يهدف إلى تفسير الرسائل الثقافية المبثوثة والمشفرة في النصوص .

وكأغلب المقاربات النقدية الحديثة ،فإن ظهور النقد الأدبي كمصطلح متكامل الأبعاد فإن الدراسات الغربية كان لها السبق في ذلك في تكوينه وتحديد معالمه ، وتعود إحدى أول الإشارات المبكرة للنقد الثقافي هي تلك التي وردت في مقالة المفكر الألماني تيودور أدرونو سنة 1949م والتي عنونها بـ ' النقد الثقافي والمجتمع '.[3]

إلا أن الريادة في الطرح المعرفي لهذا تعود إلى الناقد فنسنت ليتش وذلك في كتابه ' النقد الثقافي النظرية الأدبية ما بعد البنيوية ' الذي ضم حدود النقد الثقافي وفكرته حول الممارسة النقدية الثقافية .

---

[1] مصطفى الضبع: أسئلة النقد الثقافي ،ص06.

[2] ينظر: مصطفى الضبع : أسئلة النقد الثقافي، ص07،08.

[3] ميجان الرويلي، سعد البازغي: دليل النقد الادبي ،ص306،307.

" لقد طرح ليتش في كتابه النقد الثقافي النظرية الأدبية ما بعد البنيوية " والمعروف عن ليتش أنه – شأنه في ذلك شأن كوكبة من النقاد الانجلوسكسونيين الذين يدمجون بين فروع العلوم الإنسانية في تحليلاتهم –قام في هذا الكتاب بعرض جدالي الاتجاهات الفكر الغربي المعاصرة في المجالات النقدية والفلسفية والمنهجية ، ويؤكد الغذامي على أن ليتش أكد أن النقد الثقافي تضمن تغييرا في منهج التحليل والسياسة وغير ذلك دون أن يهمل منهج التحليل النقدي الأدبي ".[1]

أما عربيا فقد انتقل النقد الثقافي كموجة نقدية فعالة تكيف معها الأدب العربي جاعلة أدواتها غاية نحو الكشف عن خبايا الأنساق الثقافية العربية في شعرها ونثرها ، وقد كان السبق و الريادة للناقد عبد الله العذامي في تطوير المصطلح " إذا انتقلنا إلى البيئة العربية الناقلة للنظرية فسنجد بعض الباحثين انطلق في كتاباته التطبيقية من منطلق المنهجية الثقافية دون أن يسوق لنظرية النقد الثقافي من أمثال ادوارد سعيد في كتابه الاستشراق والدكتور جابر عصفور في كتاباته حول الثقافة النقدية لضم المعرفة في ثلاثيته حول نقد العقل العربي ، حتى جاء كتاب عبد الله العذامي ' النقد الثقافي في قراءة في الأنساق الثقافية العربية 'كأول دراسة تتبنى النقد الثقافي منهجا في الدراسة والتحليل على نحو صريح ، معلنا بداية مرحلة جديدة في ميدان دراسات النقد الثقافي في البيئة العربية ".[2]

" وقد تتبع الغذامي مجموعة من الباحثين ، عمدوا إلى تطوير المصطلح وبث القواعد النظرية والدراسات التطبيقية حول المقاربة النقدية أبرزهم الباحث عبد القادر الرباعي الذي تطرق في الفصل

---

[1] ينظر: عبد الله ابراهيم ، الثقافات العربية والمرجعيات المستعارة ، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص102.

[2] ينظر: عبد الباسط سلامة هيكل : النقد الثقافي : " مفاهيم وأبعاد نحو نظرية جديدة في النقد ، مجلة كلية الآداب واللغات ، عدد 1، د.ت، جامعة خنشلة، ، الجزائر،ص15.

الأول من كتابه ' تحولات النقد الثقافي ' إلى ابرز الأفكار الغربية التي تناقش موضوع الدراسات الثقافية ونقدها".[1]

ثانيا: تعريف النسق

1-لغة:

يعود الجذر اللغوي المعجمي لمصطلح النسق إلى المادة المعجمية (ن،س،ق) التي تعني النظام فقد ورد في لسان العرب " النسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء ، وقد نسقته تنسيقا ،(...) لابن سيده ، نسق الشيء ؛ينسقه نسقا، ونسقه نظمه على السواء، وانسق هو تناسق .والسم نسق ، وقد اتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض ؛أي انتسقت".[2]

وفي مقاييس اللغة لابن فارس ورد " النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على تتابع الشيء وكلام نسق جاء على نظام واحد وقد عطف بعضه على بعض وأصله قولهم ' ثغر نسق ' إذا كانت الأسنان متساوية.[3]

وقد راح القدامى إلى استخدام كلمة نسق " يجري كثيرا في الخطاب العام والخاص ، وتشبع في الكتابات إلى درجة تشويه دلالتها ، وتبدأ بسيطة كأن تعني ما كان على نظام واحد ، كما في تعريف

---

[1] طارق بورحالة: تطور النقد الثقافي في النقد العربي المعاصر، مجلوة إشكالات في اللغة والأدب، عدد 6، معهد الآداب واللغات ،تمنراست،الجزائر، ديسمبر 2004م، ص295.

[2] ابن منظور: لسان العرب ج10، ص352.

[3] ابن فارس : مقاييس اللغة ،ص420.

المعجم الوسيط وقد تأتي مرادفة لمعنى (البنية، --) أو معنى (النظام --) حسب مصطلح دي سوسير ، واجتهد باحثون عرب في تصميم مفهوم خاص للنسق ".[1]

إذا فمن كل ما سبق نستنتج أن النسق في معناه اللغوي هو النظام أو التتابع على نظام واحد

2- اصطلاحا :

كان للنسق مكانته في دراسة الخطاب نجد من يعرفه على أنه :" ما يتولد عن تدرج الجزئيات في سياق ما ، أو ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية ، إلا أن لهذه الحركة نظاما معينا يمكن ملاحظته وكشفه ، كأن نقول " إن لهذه الرواية نسقها الذي يولده تواليا توالي الأفعال فيها ، أو أن هذه العناصر المكونة لهذه اللوحة من خيوط وألوان تتألف وفق نسق خاص بها "[2].

وقد كان لقضية النسق كمصطلح حظا لا بأس به في أعمال اللساني فييردناند دي سوسير الذي يرى النسق هو" تلك العناصر اللسانية التي تكتسب قيمتها بعلاقتها فيما بينها لا مستقلة عن بعضها ..."[3].

أما تالكوت بارسونز talcot parsons فيعرفه على أنه " نظام ينطوي على أفراد مفتعلين تحدد علاقتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافيا في إطار النسق، وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي "[4].

---

[1] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق، ص76.

[2] نعمان بوقرة:المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتاب للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، 2006م،ص39.

[3] عبد العزيز حمودة: المزايا المحدبة من البنية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة ، الكويت، دط، دت، ص184.

[4] إديث كروزويل: تر: جابر عصفور، عصر البنيوية، دار الصباح سعاد ،الكويت، ط1،دت،ص44

ويعرف كذلك على أنه " مجموعة من القضايا المرتبة في نظام معين بعضها لا يبرهن عليها في النسق ذاته وبعضها الآخر يكون نتائج مستنبطة من المقدمات "[1].

بعد التمعن في المفاهيم السابقة نجد اختلافا جليا في الضبط الاصطلاحي لمفهوم النسق ، ويعود ذلك إلى اختلاف الأطر العلمية والمرجعيات الفكرية المحيطة بالمصطلح .

ثالثا: خصائص النسق الثقافي

تتميز الأنساق الثقافية بالعديد من المميزات والخصائص يمكن حصرها في النقاط الآتية:

1- التمييز والتكرار :

من الميزات الأساسية التي يتسم بها النسق ، يقول كمال أبو ديب " والنسق ظاهرة تتضح من خلال التمييز و التكرار "[2]بحيث أن الدارس والمتمعن في النص الأدبي يلاحظ أن النسق يتكرر في العديد من المرات بوعي من الكاتب أو دون وعي منه.

2- معطى أولي:

ميزة جوهرية تميز النسق حيث يقول أحمد يوسف " من خصائص النسق أنه معطى أولي مرتبط بلا وعي العقل البشري وكونيته "[3]

فالنسق إذا متعلق باللاوعي الإنساني ، اللا إدراكي غير المقصود ، ووجوده في الخطاب الأدبي ضرورة حتمية.

---

[1] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر، قاهرة، ط2005،5م،ص645.

[2] كمال أبو ديب : جدلية الخفاء و التجلي دراسات بنيوية في الشعر ، دار المعلم ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، ص256

[3] أحمد يوسف : القراءة النسقية ،سلطة البنية ، الدار العربية للعلوم والنشر ،ط1 د ت ، 2007، ص 192

3- الحركية والتحول:

يتميز النسق كذلك " بحركيته وتحولاته وانتظامه الداخلي كما أنه يمتلك مرونة التحولات ، ويستجيب لمقتضيات التغيرات فيتكيف معها دون أن يتلاشى جوهره "[1]

أي أنه بالرغم من تحولاته وتأقلمه مع ما تقتضيه التغيرات يبقى النسق محافظا على جوهره.

د- (...) وكل شيء مكون عناصر مشتركة ومختلفة فهو نسق ، له بنية داخلية ظاهرة وله حدود مستقرة "[2]

رابعا: وظيفة النسق الثقافي

للنسق الثقافي عدة وظائف ، وتشكل هذه الوظائف فعالية كبيرة في الخطاب الأدبي من خلال:

أ- " يُحدد النسق الثقافي غير وظيفته ، وليس المقصود وجوده المجرد والوظيفة النسقية لا تحدث إلى في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان أحدهما ظاهر و الآخر مضمر عن انظمة الخطاب ، ويكون المضمر متناقضا وناسخا للظاهر ، ويكون ذلك في نص واحد أ, ما هو في حكم النص"[3]

---

[1] إبراهيم محمود خليل : النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك ، دار المسيرة ،ص95

[2] محمد مفتاح ، التشابه و الاختلاف ،المركز الثقافي العربي د ط، د ت،ص159

[3] ينظر : عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة الأنساق الثقافية العربية ،ص 77-78

ب- "يجدد النسق طريقة قراءة النص ، فهو يحول القارئ من قراءة سطحية جمالية إلى قراءة معمقة ثقافية ، فتكون بذلك الدلالة النسقية هي الأصل النظري للكشف والتأويل

ج- النسق دلالة مضمرة ، وهذه الدلالة ليست من (...) مؤلفها إنما هي منغرسة في خطاب مؤلفاتها (الثقافة) ، تساوي هذه الدلالة مستهلكيها من كتاب وقراء بين الصغير والكبير ، النساء والرجال والمهمش والمسود

د- النسق ذو طبيعة سردية ، يتحرك في حبكة متقنة ولذا فهو خفي ومضمر وقادر على الاختفاء دائما ، ويستعمل أقنعة كثيرة وأهمها قناع الجمالية اللغوية ، وعبر البلاغة وجمالياتها تمر الأنساق آمنة مطمئنة من تحت المظلة الوارفة"[1]

هـ- الأنساق الثقافية التاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما ، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق وكلما رأينا منتوجا ثقافيا أو نصا يحظى بقبول جماهيري عريض وسريع ، فنحن في لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمر الذي لا بد من كشفه والتحرك نحو البحث عنه ، فالاستجابة السريعة والواسعة تبنى عن محرك مضمر يشبك الأطراف ويؤسس للحبكة النسقية وقد يكون ذلك في الأغاني والأزياء أو الحكايات و الأمثال مثلما هم في الأشعار و الإشاعات والنكت"[2]

---

[1] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة الأنساق الثقافية العربية ،ص78.

[2] ينظر : المرجع نفسه ص79

خامسا: آليات الكشف عن الأنساق

إذا كان لكل منهج نقدي أو مقاربة نقدية مجموعة من الأدوات الإجرائية فلا وجود لمنهج دون أدوات وآليات إلا إذا كان قاصرا، وقد اقترح عبد الله الغذامي مجموعة من هذه الأدوات المتعلقة بالكشف عن الأنساق:

1-المجاز الكلي :

"لقد دعا عبد الله الغذامي إلى الاهتمام بالخطاب بمجمله لا باللفظة المفردة أو الجملة أي الانتقال به من القيمة البلاغية الجمالية إلى القيمة الثقافية ، وذلك من أجل توليد التعبير المجازي ولادة ثقافية تخضع لشرط الأنساق الثقافية"[1]

2- التورية الثقافية :

" إن نقل مصطلح التورية إلى حقل النقد الثقافي يستلزم توسيع المفهوم ليتجاوز المعنيين القريب والبعيد إلى حال الخطاب إجمالا الذي ينطوي على مضمر نسقي ليس في وعي المؤلف ولا في وعي القارئ ، لكنه وجد عبر عمليات من التراكم حتى صار عنصر نسقيا ينتظم الخطاب "[2]

3 -لدلالة النسقية :

"يفترض أن للنص الأدبي دلالتين: دلالة صريحة مرتبطة بالجملة النحوية وبشروط التوصيل الغوي وحدوده ، ودلالة ضمنية مرتبطة في النص الأدبي ، بينما يضيف الغرامي دلالة آخرى يسميها ' الدلالة النسقية ' تنتج عن الجملة الثقافية وهي ذات بعد نقدي ترتبط في علاقات متشابهة نشأت مع

---

[1] العمري بوهزة : مهدية ساهل ، الأنساق الثقافية: المفهوم والاشتغال ، مجلة الآداب والعلوم الانسانية ، عدد 2 ، جامعة الجزائر2، 2021، ص 293

[2] المرجع نفسه ، ص 294

الزمن لتكون عنصراً ثقافيا فاعلا ظل كاملا في أعماق الخطابات من دون ترحيب نقدي لانشغال النقد بالجمالي ولقدرة العناصر النسقية على الكمون والاختفاء"[1] .

4- الجملة الثقافية :

إذا كانت الدلالة الصريحة تستند إلى الجملة النحوية والدلالة الضمنية تنشأ عن الجملة الأدبية ،" فلا بد من تصور خاص يسمح للدلالة النسقية أن تتولد وهذا ما يسمى بالجملة الثقافية.

وهذا مفهوم يسمى الذبذبات الدقيقة للشكل الثقافي الذي تعززه الصيغ التعبيرية المختلفة ، وبهذا تكون الجملة الثقافية متولدة عن الفعل النسقي في المضمر الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة"[2] أي أن الجملة الثقافية هي تولد أو تسمح للدلالة النسقية أن تتولد عن الفعل النسقي.

5- المؤلف المزدوج:

فحسب رؤية الغذامي أن المؤلف مؤلفان:

الأول مبدع والثاني ذو كيان رمزي هو الثقافة التي تصوغ بأنساقها المهيمنة على وعي المؤلف (ولاوعيه) على حد سواء .

"ومهما حاول المؤلف أن يعبر عما يريد ، فإن أفكاره ومواقفه ستكون صدى لفعل الثقافة فالثقافة مؤلف مضمر ذو طبيعة نسقيه تلقي بشباكها غير المنظورة حول الكاتب فيقع في أسر مفاهيمها الكبرى التي تتسرب إليه كالمخدر البطيء فترتب محمولات خطابه بما يوافق المضمونات الإيديولوجية الخاصة بها"[3].

---

[1] المرجع نفسه ،ص 295 .

[2] العمري بوهزة : مهدية ساهل ، الأنساق الثقافية: المفهوم والاشتغال ،ص295.

[3] المرجع نفسه، ص 295-296

إن هذه الآليات والأدوات الإجرائية تمكن الناقد للنص من استكشاف الأنساق المضمرة في الخطاب ، مستميتا في ذلك بوعيه بالثقافة وإدراكه للأبعاد المعرفية ، وكذا كشف الصدام المعرفي بين ذات المبدع و الأنساق الثقافية.

سادسا: أنواع الأنساق :

تعددت الآراء بتعدد الدراسات والدارسين حول ماهية النسق ومفهومه ووظيفته وكذا أنواع الأنساق ، إلا أن هذه الدراسات اتفقت على أن للنسق أربع توجهات هي:

1- النسق الثقافي :

وقد حدد في ثلاثة أبعاد تتمثل في " أنساق الأفكار والمعتقدات ، أنساق الرموز التعبيرية وأنساق التوجيه القومي "[1]

" فأنساق الأفكار والمعتقدات هي التي تعبر عن الآراء والتصورات العقلية والعقائدية حول شؤون الكون والحياة الاجتماعية ، وكيفية استجابة الإنسان للمشاكل التي يتعرض لها وقسمين : المعتقدات المعرفية المتمثلة في النظريات العلمية والآراء السياسية والاجتماعية

-كزمولوجيا (قضية الوجود) التي تتشكل من أفكار وعقائد فلسفية تتصل بالمثل التي تكسب العصر ب طابعه الثقافي المتميز.

[1] محمد عبد المعبود مرسي :علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي : دراسة تحليلية نقدية ،كلية القصيم ، السعودية ، ط 1 ، 2000 ، ص 92

ثم أنساق الرموز التعبيرية التي تشمل على اللغة وتفاصيلها وأنواع الفن ونماذجه التعلم والاكتساب

وأنساق التوجه القومي ، وهي مرتبطة بالتراث الجمعي وتشمل على الأحكام العامة التي تتبناها الأفراد والجماعات"[1].

2- النسق الاجتماعي:

ويعرفه عالم الاجتماع الأمريكي ' تالكوت بارسونز ' بقوله" النسق الاجتماعي عبارة عن مجموعة كبيرة من الفاعلين الذين تقوم بينهم علاقات تفاعل اجتماعي قي موقف معين (...) ويتوجهون نحو تحقيق الإشباع الأمثل لحاجاتهم ، كما تتحدد علاقتهم الاجتماعية عن طريق بناء ثقافي مميز ومجموعة مشتركة من الرموز "[2]

وبناء على هذا التعريف فإن النسق الاجتماعي مجموعة من الأفراد والجماعات تشكل علاقتهم ونشاطاتهم نظاما أو بنية ثقافية واحدة، يركز في وظيفة على البيئة الاجتماعية.

2- النسق الفلسفي:

يعرفه " سليمان أحمد ظاهر على أنه " بناء فكري مركب من وحدات معرفية (فروض ،قضايا، تصورات، مفاهيم) تشكل إطارا تصوريا مرتبطا منسقا منطقا في إطار منهجي يهدف إلى الإحاطة بالوجود بأسره."[3]

---

[1] ينظر ، حمد عبد المعبود مرسي :علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي ،ص 93-94

[2] المرجع نفسه ص102-103

[3] سليمان أحمد ظاهر: مفهوم النسق في الفلسفة النسق الإشكاليات والخصائص ، مجلة دمشق ، مج 30 ، عدد 4 ، 2014 ، 7

هذا التعريف يدل على أن النسق الفلسفي هو مجموعة من البنى الفكرية المركبة من وحدات معرفية مترابطة منسقة ومنسجمة منطقيا هدفها التوغل في الوجود لكشف أسراره وخباياه ، "كما أن النسق الفلسفي قد يحوي مجموعة من المحاور (محور المعرفة، محور الأخلاق) التي تشكل نسقا منسجما ومنسقا ."[1]

3- النسق الإيديولوجي :

بالرغم من أن مصطلح إيديولوجيا "كتبت حول آراء كثيرة من طرف النقاد والفلاسفة وهو مفهوم متذبذب كل فسره وحلله حسب منظوره إلا أن أقرب و أشمل تعريف هو تعريف كارل ماركسcarl marks في قوله، " إن نتاج الأفكار والتصورات والوعي مختلط بادئ الأمر بصورة مباشرة ووثيقة بالنشاط المادي والتعامل بين البشر فهو لغة الحياة الواقعية ، إن التصورات والفكر والتعامل الذهني بين البشر تظهر هنا على اعتبارها مظهرا مباشرا لسلوكهم وأفعالهم المادية ، فينطبق الأمر نفسه على الإنتاج الفكري كما يمثل في لغة السياسة ، ولغة القوانين والأخلاق والدين والميتافيزيقيا .....الخ عند شعب بكامله."[2]

أي أن الإيديولوجيا هي مجموع التصورات والأفكار التي يشاركها أفراد المجموعة الواحدة فتظهر هذه الأفكار والتصورات في إنتاجهم الفكري وسلوكياتهم.

---

[1] ينظر : جميل حمداوي : نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة ،ص 26

[2] كارل ماركس و فريديريك انجلز ، الايديولوجية الالمانية : تر فؤاد أيوب ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2016 ، ص 30

ويمكن القول أن هذه الأنواع الأربع هي أبرز أنواع الأنساق الثقافية التي تنطوي تحتها العديد من الأنواع الفرعية والجدليات الخاصة بكل نوع في معظم النصوص والأعمال الأدبية نثرا كانت أم شعرا ، أدبا أكاديميا أو شعبيا.

الفصل الثاني:

الأنساق الثقافية في رواية

دروز بلغراد

الفصل الثاني: الأنساق الثقافية في رواية دروز بلغراد

1-النسق الديني

2-النسث النفسي

3-النسق الأجتماعي

4النسق الموروث الشعبي

5النسق التاريخي السياسي

تمهيد :

الثقافة العربية بكل ما تحمله من تنوع في الموروثات المادية و اللامادية ثقافة ضاربة في القدم ، بالإضافة إلى تميزها عن غيرها من الثقافات بصمودها في وجه العديد من موجات التطور التي شكلت سبيلا لزوالها

كذلك التاريخ السياسي العربي الحافل بالحروب و الثورات التي تعد مادة خام للأعمال الفنية عامة و الأعمال الإبداعية الأدبية على وجه التخصيص ، خاصة تلك الحروب ذات الطابع الديني حيث كان للصراع الديني الإسلامي المسيحي دورا أساسيا في هذه الحروب

وقد شكلت كل من الثقافة و التاريخ بالإضافة إلى بعض الظواهر الاجتماعية التي تميز المجتمع العربي عن غيره قضايا رئيسية نجدها حاضرة و بقوة في أغلب النصوص الأدبية على غرار رواية " دروز بلغراد" التي شملت كل ما ذكرناه سالفا

حيث تطرق الكاتب فيها إلى بعض مظاهر الموروث الثقافي العربي ، الصراع الإسلامي المسيحي في عهد الخلافة العثمانية و قضايا تثقل كاهل المجتمعات العربية كالطبقية الاجتماعية و مكانة المرأة ومشكلة اضطهادها و تهميشها

لذلك يسعى هذا البحث لاستكناه مختلف الأنساق التي تعبر و ترسم الحدود الإيديولوجية للكاتب بوعي أو دون وعي منه .

أولا: النسق الديني :

سعى الكاتب ربيع جابر من خلال الرواية دروز بلغراد إلى إظهار صور الصراع الديني (الإسلامي / المسيحي) فترة الحكم العثماني وكذا صور التعايش بينهما في العديد من المواقف ، وكذا الاختلاف في الشعائر والطقوس الممارسة عند كل من المسلمين والمسيحيين

1- جدلية الصراع الإسلامي / المسيحي:

لقد حملت الرواية من بدايتها إلى نهايتها مظاهر الصراع الحربي العسكري والفكري بين كل منهما في مختلف الأمصار التي كانت في زمن الرواية والتي يمثل زمن الخلافة العثمانية

حيث أن هؤلاء الدروز الذين تصف الرواية رحلتهم التعيسة من سجن إلى سجن حتى بلغراد ما هم إلا أفراد مسلمون حاربو المسيحيين وقتلوا مما قتلوا وصدرت أحكام بحبسهم ونفيهم من مواطنهم ، " رفع حنا وجهه ومد رقبته وصرخ مثل غريق :(أنا حنا يعقوب ، مسيحي من بيروت بيتي على حائط كنيسة مار إلياس الكاثوليك)"[1]

إلا أن الترجمان عدل على ما قاله حنا وترجمها على النحو التالي :" إنه يقول أنا قتلت حنا يعقوب ، مسيحي من بيروت ..."[2]

بالرغم من سوء الفهم الذي وقع فيه حنا إلا أن الشيء الأكيد هو أن الدروز الذين معه قد تورطوا في حرب دينية عقائدية وحملوا بدورهم لواء الدفاع عن معتقداتهم .

---

[1] ربيع جابر : دروز بلغراد حكاية حنا يعقوب ، منتدى سور الأزبكية ، المركز الثقافي العربي و دار الاداب للنشر و التوزيع ، ط1 ن، بيروت ، لبنان ، 2011 ، ص 25

[2] الرواية ص 25

وهذا طبعا لا يقتصر على المسلمين فحسب ، بل إن المسيحيين أيضا دافعوا عن أنفسهم وحاربوا المسلمين في جبهات عدة " وقعت حرب أهلية في الجبل الذي يطل على بيروت وبعد معارك ومذابح دامت ثلاث أسابيع كسر الدروز المسيحيون واستولوا على جبل لبنان ، عدوى القتل انتقلت على الألسن في الهواء إلى مدينة دمشق : أغار المسلمون بالبارود على حي النصارى وأحرقوه "[1]

وبحكم المجاورة كانت هذه الحرب أشبه بحرب عصابات أو حرب أهلية بين أبناء البلد الواحد

أما الصراع الديني الأكبر فكان آنذاك كان بين الجيش العثماني وجيوش البلدان الأوروبية التي كان قد فتحها أو بصدد فتحها خاصة دول البلقان التي كانت تقاوم بشدة الفتوحات الإسلامية العثمانية

" ماذا نفعل بهؤلاء يا باشا ؟ الجندرمة الصربية تحولت جيشا واجتاحت السفح الشرقي ، كل بيت على سطحه قرميد احترق ، نحن محاصرون وأنت تعرف هذا

شهور وأنا أقول لكم أنهم يخزنون السلاح والذخائر وأنتم تردون هذا غير صحيح ، لم يبق فلاح بلا بارودة هم طلبوا القتل

أنا في صفك يا باشا ، إذا لم نقبل الهدنة نخسر ، وصلني تيليجراف قبل ساعة أن الجيش النمساوي ينقل المدافع إلى سملين "

كانت هذه الحرب حربا استعملت فيها جل أنواع الأسلحة ثقيلة كانت أو خفيفة ، وكانت الخسائر فيها عظيمة من كلا الطرفين ، حيث أن القنصل الإنجليزي حين سأل مساعد الباشا أن الخسائر تلك الليلة أجابه :" فقدنا 36 جنديا بينهم تسعة على المدفعية و15 سجينا بينهم سبعة من دروز بلغراد "

[1] الرواية ، ص12

وإن هذا الصراع ما هو إلا نتيجة الصراع الفكري طبعا واحتقار كل منهما للآخر " من كتلة الدمدمة الغامضة ، كانت تصل إليه عبارة واضحة مثل خيط ينفصل عن كنزة ، أدرك أنه يذكر من عبارة (هذا المسيحي المسكين) مرة ومن (هذا الحمار المسيحي) مرات أخرى "[1]

وما استخدام هذا التشبيه إلا دليل قاطع على استحقار بعض الدروز المسلمين لحنا ، لا لشيء إلا لكونه !مسيحيا

إلا أن عبارة (هذا المسيحي المسكين) توحي بأن هنالك بعض التعاطف من قبل بعض الدروز لهذا المسكين وقد كانت بيروت مثالا على التعايش السلمي بين المسيحيين والمسلمين ، فنجد في هذه الحارة جامعا وفي الحارة المقابلة كنيسة ، حيث أن حنا يسكن بجانب الكنيسة مار إلياس كاثوليك إلا أنه يستطيع الشعور حتى بجلبة المصلين العائدين من بيته " وهكذا لم تشعر هيلانة بجلبة العائدين من الصلاة في الجامع"[2]

2- جدلية الإيمان بين القوة والضعف:

لقد نبه ربيع جابر من خلال الرواية إلى مظاهر التمسك بالمعتقدات الدينية من خلال الإيمان بها او على العكس من ذلك السخط على هذه المعتقدات كما جاء على لسان حناء. بعد التغرب 12 سنة ،" التراب يتساقط على راسي مكتوب لي في اللوح المحفوظ أنني اطمر حيا حبيسا بلا جرم في هذه الأرض الغريبة.

أين العدل .كيف يصنع الرب بهذا؟"[3]

---

[1] الرواية ، ص 35

[2] الرواية ، ص 26

[3] الرواية ، ص 9

أيضا من مظاهر الاهتزاز العقائدي وضعف الإيمان ما قاله الكاتب فيما يجول بخاطر شخصيه سليم خادم الكنيسة ،"كم مرة حلم سليم الصغير لو أن الرب خلقه حنا يعقوب ولم يخلقه خادما ينظف الكنيسة ويقتل الفئران "[1]

العكس من ذلك فقد ابرز الكاتب أن المسلمين متمسكون شديد التمسك بمعتقدهم وإيمانهم "أمام حوانيت الخياطين خفقت أقمشة معلقة في قريته في أعالي الجبل لم يسمع الشيخ غفار أذانا يوما بينما يرتقي الهضبة إلى القشلاق تحركت شفتاه بلا وعي الله يا كريم الله يا رحيم "[2].

بالرغم من أن حنا يعقوب جاور الكنيسة طوال عمره إلا أنه ضعف بعد سنوات ألغربه واعترض على قدره متسائلا كيف يصنع الرب بهذا بينما على عكسه لم يسمع الشيخ غفار آذانا يوما في قريته إلا أن إيمانه راسخ حرك شفتيه دون وعي. منه بذكر خالقه.

تأويل ذلك إلى أن ربيع جابر أراد تمرير رسالة من خلال شخصيتي والذي بالرغم من كونه بطل الرواية إلا انه ضعيف الإيمان والعقيدة عكس الشيخ غفار حيث أن هذا الأول مسيحي والثانية إسلامي المعتقد. فمن كان على هدى فهو متين الإيمان ومن كان ضالا فإيمانه. بيت العنكبوت يتزعزع في أول العقبات والابتلاءات

[1] الرواية ، ص 31

[2] الرواية ، ص 15

ثانيا–النسق النفسي :

يستمد النقد الثقافي مادته من روافد عده تسهم في فعاليه آليات التحليل الثقافي واثبات مجاعته في تحليل النص الأدبي واستكشاف مضمراته.

"لقد أفاد النقد الثقافي من التحليل النفسي وعلم النفس فالنقد الثقافي نقد تكاملي عابر للحقول المعرفية ويمكن وصفه بأنه أقرب إلى الدراسات البينية التي تفيد من المناهج والدراسات المتنوعة"[1]

" فالتحليل النفسي يعتبر من بين أهم المناهل التي يعتمد عليها النقد الثقافي نحو رصد انساق النص نفسيه وما تفرزه شخوص الرواية من دوافع نفسية تحقق الحدث الروائي وتشكل الوعي الفعلي المكون للعمل الروائي."[2]

وقد حفلت رواية دروز بلغراد بعديد الأنساق النفسية شكلت من خلالها وعيا ثقافيا مضمرا وعين تحمله كل شخصيه من شخصيات الرواية في بواطنها

.

1–جدلية الخوف والشجاعة في مواجهه الآلام

إن من أهم ما يبرز شخصية الإنسان عامة هو وقوفه أمام مشكلة معينة وكيفية التعامل معها وتختلف طرق التعامل مع الصعاب والمصائب والآلام من شخص لآخر، وباختلاف العقائد وطبيعة النشأة ابرز لنا ربيع جابر في هذه الرواية كيفية التعامل مع هذه الآلام من خلال شخوص الرواية.

"دفعه الجنود صوب المحابيس وفي تلك اللحظة فقط خرج من الصدمة استدار استدارة عنيفة وارتمى على قدمي الضابط أبوس رجلك يا باشا لا تفعل بي هذا زوجتي صغيره عمرها 17 سنة لا أحد عندها غيري وابنتي طفلة ما زالت ترضع، أبوس رجلك خذ غيري أنا لا اقدر أن اذهب."[3]

---

[1] ينظر: نزار جبريل السعودي ، تفاعل النقد الثقافي مع المناهج النقدية والمعارف المتعددة ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية، ع2 ، مج 14 ، 2017 ، ص 219

[2] ينظر : ينظر: نزار جبريل السعودي ، تفاعل النقد الثقافي مع المناهج النقدية والمعارف المتعددة ، ص 220

[3] الرواية ، ص 24

بعدما وقع حنا تحت الصدمة لمده قصيرة أفاق وعلم انه في ورطه كبيره سيكون سجينا وينفى ويبتعد عن زوجته وابنته اعتلاه الخوف فسقط على رجلي الضابط. يتوسل إليه كي لا يفعل به ما يخشاه ويتركه ويعود لبيته .

"في رمشة عين ابتلت الطاقية على رأسه بالعرق كان يتأرجح في ركوعه الألم ممزق مفاصله حين لاحظ قرفا ظاهرا على وجوه غامضة قريبة أدرك أن البلل الحارق بين فخذيه ليس عرقا داخ وسبح في ضباب ومر عليه زمن أخرس غريب ثم تركز الحريق في كليته وفكر أنهم جرحوه هو لم ينتبه."[1]
حنا المسكين كان مجرد بائع بيض لم يعتد في حياته قط على هكذا الم. الم شديد جعل رأسه يسير عرقا بل وجعله أكرمكم الله يبول في سرواله. وإدراك أن هذا المسكين قد لا يعود أبدا إلى بيته ما زاد الطين بله حتى خيل إليه انه جرح دون أن ينتبه لذلك.
على العكس من حنا كان غفار عز الدين محاربا ذو شجاعة منقطعة النظير، فرغم ما يتعرض له كان دائما سريع البديهة في اتخاذ القرار الصائب والتحرك وفقا لذلك" نعمان غفار عز الدين أسقطه وابل من الرصاص. مع جردل التراب ثقيل في بطن السور تلمس ذراعه اليمنى فابتلت أصابعه بالدم. انتزع قميصه المهلهل و رأى أنه سينجو. ربط زنده وأسند ظهره وانتظر سكوت الرصاص كان بصره غائما لكن لمح حنا في الأعلى متسع فتحتي الأنف مثل حصان يتنفس، انزل، الصوت خرج مبحوحا من حنجرته لكن حنا سمعه مع هذا ظل واقفا كالفزاعة حيث يطقطق الخردق، انزل يا حمار."[2]
بالرغم من إصابته البالغة تحامل نعمان على نفسه وأسعف نفسه بل راح يحاول إنقاذ حنا من الموت من خلال توجيه الأوامر وإرشاده إلى النزول إلى مكان امن، طبعا حنا هنا كان مشلولا لا يحرك ساكنا من شدة الخوف حتى انه بعد نزوله إلى جانب نعمان وبعد توقف إطلاق النار رأى الدم على فخضه وراح يردد: سأموت هنا كان أحسن لو قتلوني في الميناء، ومن شدة خوفه تأوه كأنه يموت فعلا عندما مسح نعمان الجرح برؤوس أصابعه.

---

[1] الرواية ، ص 25
[2] الرواية ، ص 86-87

لقد حملت شخصيتا حنا ونعمان غفار عز الدين شكلين مختلفين من أشكال النفس البشرية ، نفس تميل إلى الخوف لا تدرك ما الذي يجب فعله في المصائب لا تتحمل الألم النفسي والجسدي وأخرى شجاعة تواجه العقبات بصبر وحكمة

2-الاغتراب :

إن رواية دروز بلغراد ما هي إلا قصة تحكي إن في مساجين غربوا عن بيوتهم ومواطنهم إلى مواطن بعيدة كل البعد عن هذه الاراضي التي عاشوا فيها ،فراح ربيع جابر يتفنن ويبدع في تصوير مشاعر هؤلاء الدروز وحنينهم إلى أوطانهم ووصف شوق كل مغترب لأهله وشوقهم له.

"حيث تكاثف الظلام وبدا بعض القناديل ينطفئ استدارت راجفة بردا وذهبت إلى تحت شباك جارتها ونادت أم سمعان ظهرت تحمل رغيف خبز : خيرا ، حنا حنا تأخر كثيرا."[1]

بعد تأخر حنا في العودة إلى بيته شعرت زوجته هيلانة بقلق شديد وعلى الرغم من إن حنا عاده ما يتأخر إلا أنها في هذا اليوم راودها شعور غريب وكأنها أدركت أنها زوجها في ورطه وقد لا يعود قريبا.

"في الدهليز سمع حنا لغة عجيبة سقطت الحروف على مسامعه كالمطارق ، أيقن في لحظة تجل أن الباخرة ألقته في نهاية العالم"[2]

إن تشبيه الكاتب بسقوط الحروف على مسامح حنا بالمطارق لا دليل قطعي على إن حنا في هذه اللحظة بالذات أصيب بصدمة لك سابقاتها الشعور بالوحدة والغربة وحيرته على عائلته الصغيرة.

"ولو تابعوا المشي في هذا الاتجاه سنه أو نصف سنه بلغوا بيوتهم"[3].

هنا ندرك تمام الإدراك أن الدروس المساكين قد ابتعدوا مسافة لا يمكنهم قطعها سيرا على الأقدام نحو أوطانهم وأنهم لا يملكون خيارا سوى الصبر وتحمل الم الغربة حتى يتم الإفراج عنهم وإعادتهم.

"على الطريق الحمراء على التل دمعه عيناه بسبب الغبار أثناء النهار وهو يحمل سلتي عنب ويتبع

---

[1] الرواية ، ص 26

[2] الرواية ، ص 36

[3] الرواية ، ص 123

رائحة الخبز حتى شجرات الزان الظليلة تذكر لحظه من حياته القديمة وأضاع مكانه في الزمن ولم يعد متأكدا أين هو ولا ماذا يفعل."[1]

يصور لنا ربيع جابر حال المسكين حنا وشروده لحظة استرجاع بعض ذكريات حياته القديمة الحياة التي كان ينعم فيها بحضن دافئ وأكل ساخن وحب عائلة صغيرة ، فراح المسكين في احد الجلسات مع أصحابه ويسرح بخياله" يفرجون عنا هذا حقيقي ، لكن الباشا قال ذلك ،أنا سمعت، لسانه دار في فمه، لمس قشرة تفاح عالقة بين أضراسه، أرى هيلانة وباربرة ، أسير في الأسواق أنام على فراشي في بيت مغسول الجسم شبعان البطن لابسا قميصا نظيفا أنهض في الفجر سامعا الدجاج في القن وراء الحائط ،معقول اخرج هذا حلم أم حقيقة ،عض على شفته وأدامها ولحس الدم، طعم الكبدة النيئة، أصل إلى بيتي واحمل باربر بين يدي واشم رقبتها."[2]

ليس في الكون شعور يساوي شعور من فرق عن فلذة كبده مرغما هنا وصل المسكين حنا إلى درجه اليأس حتى اعتقد أن الوصول إلى بيته وممارسه حياته الطبيعية كسابق عهده حلم بعيد المنال، فالمدة التي قضاها سجينا مغتربا تقتل كل ذرة أمل في قلب الإنسان.

وقد عمد الكاتب في بعض الأحيان إلى تصوير جمال بلاد الغربة و بعض المغريات التي قد تحبب المغترب في التموطن بعيدا عن موطنه الأصل وقد عمد الكاتب كذلك إلى ذكر النساء لعلمه أن حسن النساء في بلاد الغرب أكثر ما يرغب العربي في الهجرة والتغرب في بلاد الغرب الأعجمي.في وصفه وقوله" وفي أسفل التلة تهادى الدانوب عظيم المياه،بدوا مصدومين، هذه الجنة ؟ أطلت نسوة من نوافذ ،وقف تجار بثياب تركية وصربية وبلغارية في مداخل الدكاكين ."[3]

---

[1] الرواية ، ص 160

[2] الرواية ، ص 112

[3] الرواية ، ص 46

ثالثا–النسق الاجتماعي:

تعد الرواية مرآة المجتمع التي تعكس واقعه بمختلف مظاهره وهي الفضاء الذي يسمح للكاتب بتصوير واقع الأمة فالرواية هي العمل الأدبي الأقدر على معالجة الواقع الاجتماعي والتعبير عنه تعبيرا أدبيا وفنيا يحدد رؤية العالم وآفاقه. "إن الرواية تبدو وكأنها مؤسسة أدبية ثابتة الكيان فهي الجنس الأدبي الذي يعبر بشيء من الامتياز عن مؤسسات مجموعة اجتماعية وبنوع من رؤية العالم الذي يجره معه ويحتويه في داخله."[1]

وقد عالجت رواية الدروز بالجراد عبر عرض مختلف الأنساق الاجتماعية بمستوياتها الظاهرة والمضمرة لتعبر عن بعض القضايا الاجتماعية التي كانت في زمن الرواية ،والتي لازال بعضها حاضرا في وقتنا الراهن ولعل أهم هذه القضايا والظواهر ظاهرة الطبقية الاجتماعية التي تحدد معالمها بعض الاختلافات والمفارقات بين فرد وأخر كالانتماء واختلاف مناصب الشغل والتفاوت في درجة الغنى.

1–الطبقية الاجتماعية.

مثلت هذه القضية في الرواية قضية محورية وسنقف فيما يلي على نموذج بارز يلخص مجموع الرؤى المضمرة التي تغوص في أعماق النظرة المجتمعية لهكذا قضية.

"باس يد الباشا والخاتم بفص الياقوت ، تفضل يا شيخ غفار، قال إسماعيل باشا وأشار إلى الطراحات جنبه فاجأه ذلك أن يلفظ الباشا اسمه ثم سأله ماذا كنت تفكر وأنت تحت الجميزة ، ثم أردف قائلا كنت أريد أن أرى ماذا يفعل شيخ في مكانك وهو وحده."[2]

في بداية هذا الحديث وقبل أن ينطق أي منهما حرفا سارع الشيخ غفار إلى تقبيل يد الباشا إسماعيل احتراما له. لا احتراما لشخصه وإنما لمكانته المرموقة واحتلاله مرتبة عليا في سلم الطبقات الاجتماعية ويجدر الذكر أن تقبيل اليد عادة عثمانية ضاربة في القدم لا تزال حاضرة إلى يومنا هذا في عديد

---

[1] عبد الملك مرتاض : نظرية الرواية –بحث في تقنيات السرد– ، عالم المعرفة ، الكويت 1998 ، ص 34

[2] الرواية ، ص 17

المجتمعات العربية ، ورغم كونها عادة حميدة ترمز إلى الاحترام والتقدير والتوقير إلا أنها توحي كذلك إلى وجود مسافة وهوة بين بعض فئات وشرائح المجتمع الواحد ، كالذي نراه على سبيل المثال عند أهل المغرب الأقصى الذين كثيرا ما نراهم يتهافتون ويسارعون إلى تقبيل يد ولي العرش .

2-المرأة/ الهامش.

المرأة أساس كل المجتمعات إن صلحت صلح المجتمع كله وان انحرفت عن مسار الصواب كانت كمن أقام بنيانه على أساس هش ، لذلك جعل السارد لها مكانه أساسية في روايته ، فأعطانا مثالا لكل من المرأة الصابرة المؤدية وظيفتها الأساسية على أكمل وجه المعينة على مصائب الحياة ، الزوجة المحبة الأم الحنون البنت العزيزة التي سعادتها من سعادة أبيها وحزنها من حزنه. حيث أن هيلانة قسطنطين زوجة بطل القصة حنا يعقوب كانت حسب وصف الكاتب المنبع الأهم الذي يستمد منه زوجها الأمل في العودة يوما ما إلى أهله رغم البعد والألم ،فكان إن ضاقت به الحال تذكر ابتسامتها الخجلة فيستعيد رباطة جأشه ويتملكه إحساس بالاطمئنان

.

وقد صور لنا الكاتب علاقة الحب كما يجب تكون بين الرجل وزوجته ذلك الحب الذي يمكن الإنسان من الإحساس بالخطر على محبوبه قبل وقوعه حتى" لم يقبل من هيلانة وهو يقوم عنها وهي تتعلق برقبته وتطلب منه البقاء في الفراش في ذلك الفجر الأخير الأسود. قالت له رأيت في المنام أن السلة وقعت والبيضات تكسرت. ضحك كما يفعل كل مرة تقول فيها البيضات بدلا من البيض، وقال لها لا تقلقي والبيض سلقته واذا انكسر صار تقشيره أسهل، على عكسها كان منشرحا ضاحك الوجه في ذلك صباح الأخير وعندما رفع بظفر خنصره الطويل خصلة شعر عن وجهها سرى التيار الطيب منه إليها وطمر وسواسها هكذا غادر البيت مع سلتي بيض وهو لا يعرف انه لن يرجع."[1]

[1] الرواية ، ص 19

أحست هيلانة من خلال تشاؤمها من المنام الذي رأته بالخطر على زوجها فطلبت منه عدم مغادرة البيت ألا أنه وبحركة خفيفة أزال هذا الخوف والتوتر اللذان يتملكانها

" بينما يحزم الجرتين بالحبال اقتربت ابنته بهية ومدت يدها كانت أقوى من رجل سميكة العظم وحين أنهت تثبيت الجرتين ربتت على ظهر البغلة وقالت شيئا لم يسمع الدعاء بسبب بكاء كناته، نشيج محبوس يفلت من الأعماق، باست يديه وضمها إليه وباست كتفه لم تبك احترقت دمعتها يوم ترملت بعد معركة عين دارة لم تعد نفسها ، أشاح بوجهه وصغرك كناته زوجه سليمان أنقذته بوقوعها بين يديه كانت المفضلة عنده ويحبها أكثر من ابنة وإذا مرض لا يأكل من غير يدها رائحة سكرية فاحت من رقبتها السمراء و ملأت أنفه عانقته وهي تدعو له."[1]

هنا كان ربيع جابر قد أعطانا نوعين من النساء امرأة صلبة ذات قلب من حديد والأخرى تسبق دمعتها حديثها فالأولى هي ابنة الشيخ غفار بهية التي ترملت في إحدى المعارك ومنذ ذلك اليوم تحجر قلبها وصارت شخصا غير الذي كانت عليه أما الثانية فهي كنته التي أحبها حسب وصف الكاتب أكثر من ابنة له ودعت والد زوجها قبل مضيه في رحلته بالعناق والبكاء هذا البكاء الذي أعاد إلى قلب الشيخ إحساسا بالحنان سرى منها إليه فأنقذه من هاله الصمت المريب الذي كان يسود الأجواء.

وقبل انطلاقه في رحلته نادى الشيخ غفار إلى زوجته قائلا :" ادعي للأولاد يا أم علي أن يرجعوا معي الله يحب صلاه الأم"[2]

فبالرغم من كونه شديد الحزن على أولاده إلا أن الشيخ غفار يدرك أن الأم حتى لو لم يبد عليها إلا أنها أشد حزنا واشتياقا لأولادها. فالمرأة دائما ارق قلبا وأوفر عاطفة من الرجل

وفي موضع آخر من الرواية يحكي الدرزي مصطفى مراد قصة حبه الشديد لصغرى بناته، " سنتان ولم أرها وكلما أتى إلى المدينة يخترع الحكايات كي لا أذهب إلى سراييفو لرؤيتها كنت قاعدا في المتجر بين أكوام القش والقماش، أطلس ثمين وحرائر رومية، ورأيت أنني خسرت كل شيء كنت فعلا

---

[1] الرواية ، ص 15

[2] الرواية ، ص16

بدأت أخسر تجارتي من دون بناتي لم اعد أحب ما أفعله حزمت أغراضي وذهبت إلى اسطنبول ونزلت يومين عند ابنتي وزوجها وفرحت بأحفادي لكن هذا لم يزدني هذا إلا شوقا لصغرى بناتي وهكذا سافرت إلى سرايفو، بينما أقرع باب سيد خيري فكرت في أمي التي سميت ابنتي هند على اسمها انفتح الباب ورأيت امرأة تتراجع خائفة هند ابنتي لا اعرف كيف تحمل جسمي الصدمة بدت أكبر من عمرها بعشرين سنة ،لكن ما حطمني كان نظرتها، حتى مني أنا بدت خائفة مع أني لم ارفع كفي في وجهها مرة كل حياتي حضنتها بكت حتى ابتل قميصي."[1]

في تكملة حكاية مصطفى مراد يكون قد قتل زوج ابنته الذي رفض عودتها مع أبيها ذبحا بالسكين هذا الزوج الذي قلب حياته هند إلى جحيم وجعلها تبدو كبيرة السن خائفة من كل الرجال حتى والدها الأمر الذي لم يستصغه والدها الذي كان يتلهف شوقا لرؤية ابنته.

إن قضية اضطهاد المرأة هذه خاصة في مجتمعاتنا العربية ورغم قلتها مقارنة بأزمنة سابقة إلا أنها تبقى ظاهرة سلبية تبعث بالمجتمعات إلى هاوية التخلف والرجعية فالرجل المضطهد سينتج كنتيجة حتمية جيلا حاقدا يعاني اضطرابات نفسيه تحول دون التطور المجتمعات وتماسك أفرادها فيما بينهم.

على عكس صورة المرأة الجيدة الحميدة نبهنا الكاتب إلى أن المرأة قد تكون أيضا سبب هلاك وخراب المجتمعات إن انحرفت عن طريق الحق وسبيل الصواب والابتعاد عن تأدية رسالتها الأولى وهي مساندة الرجل وإنشاء الأجيال القادمة

"لم تكن نازلي هانم مالكة حقول وزوجة خامسة غير شرعية لجودت باشا وحسب ،كانت أيضا قوادة معروفة على جهتي الدانوب، من سملين وراء الحدود يجيء زبائن إليها على المركب البخاري ، تجار وأصحاب مزارع وموظفين في جمارك الإمبراطورية النمساوية الهنغارية، يقطعون ثلاثة أميال قصيرة من الماء كي ينعموا بالعسل الشرقي، يجلبون نبلاء من بودابست فيينا وسالزبورغ أحيانا، بنات صغيرات

[1] الرواية ، ص 121

رومانيات وشركسيات وألبانيات وغجريات وسودانيات نزلن في مياه هذه البركة مع مرور الزمن لم تتعلم نازلي لغتهن لكنها علمتهن بعض الفنون."[1]

أعطى الكاتب شخصية نازلي دورا حساسا في الرواية فجعل منها تمثيلا لأقبح صور المرأة في المجتمعات لم تكن زوجه غير شرعية فحسب بل كانت تاجرة في الدعارة تجلب بنات من شتى بقاع الأرض المختلفة لنبلاء السلطة وكل من له مكانة عالية لممارسة الزنا هذا الفعل اللا أخلاقي الذي يضر كثيرا بالمجتمعات ويؤدي إلى عواقب لا تحمد عقباها إضافة إلى كونه في دين المجتمعات العربية دين الإسلامي حراما وممنوعا.

رابعاً-نسق الموروث الشعبي:

يأخذ مفهوم التراث مكانة مميزة في نسق المفاهيم التي ترتبط بحياة الإنسان وتاريخه ويشكل مفهومه أحد العناصر الأساسية للهوية الثقافية عند الشعوب لأنه وببساطه" يمثل المضمون الثقافي لهوية الأمة فالتراث هو المخزون النفسي لدى الجماهير والطاقة الحيوية الوجدانية للأمة"[2]

والتراث هو "حصيلة المعارف والعلوم والعادات الإنتاج المادي المتراكم عبر السنين فهو يضم الممارسات الشعبية والطقوسية معا كما يضم الفلكلور والميثولوجيا العربية. ويضم أيضا الأدب الشعبي الذي أبدعه الضمير الشعبي أو العطاء الجمعي في مسيرته الحضارية من القديم إلى اليوم ، والذي يشكل نمطا في السلوك والعلاقات وطريقة العيش"[3].

ويعتبر الموروث الشعبي جزءا مهما من التراث الثقافي والذي يرمز إلى مختلف الأنماط الثقافية لحياة العامة من الناس وتندرج تحت إطاره العادات والتقاليد والطقوس الشعبية كأنماط ثقافية

---

[1] الرواية ، ص 47

[2] ينظر : حسن حنفي : من العقيدة إلى الثورة ، دار التنوير ، القاهرة ، 1988 ، ص 7

[3] سعيد حمداوي : صورة المرأة في المعتقدات الشعبية ، الملتقى الأول للموروث الشعبي ، محاضرات الندوة الفكرية السادسة ، مطبعة مزوار للنشر والتوزيع ، الوادي ، الجزائر ، 2006 ، ص 22

وقد اهتم به ربيع جابر ووظفه في خطابه السردي وبما أن زمن الرواية كان فترة الخلافة العثمانية فكل ما صوره الكاتب في الثقافة المشرقية كان أصله عثمانيا وهو ما يتوافق مع الثقافة العربية في أغلب جوانبه.

1-اللباس الشعبي

لم يغفل ربيع جابر عن ذكر اللباس الشعبي في روايته للدور الكبير الذي يلعبه في تحديد هوية الفرد العربي

ومن الألبسة التي احتفى الكاتب بذكرها نجد العباءة والعمامة فقال واصفا هيئة الشيخ غفار عز الدين" أحد الحراس ترك مركزه وسار أمام الشيخ الأبيض اللحية المدور العمامة في زحمه الناس "[1] و العمامة المدورة مما لا غبار عليه رمز للثقافة العربية الأصيلة

وكان الشيخ غفار عز الدين مثالا للرجل العربي الأصيل في شكله وتصرفاته بكافة تفاصيله فيردف الكاتب واصفا إياه "هواء الجبل بارد آخر الليل حتى في الصيف لما العباءة على بدنه وأخذ يصلي بينما الطريق تنحدر صوب النهر"[2]، وكما للعمامة مكانة عند الرجل العربي لا يمكنه التخلي عنها كذلك تصاحب هذه الأخيرة العباءة التي لا يمكن رؤيتها لا قديما ولا حديثا إلا عند العرب عامة والمشارقة خاصة فكلاهما يمثلان اللباس الأساسي للرجل العربي حل وارتحل.

2-المطبوخات.

تشكل هذه الأيقونات تراثا شعبيا أصيلا نابعا من صلب المجتمع وبعدا من أبعاده فهو يطلعنا إلى نوعيه طعام مجتمع ما ويمكننا من معرفة طريقة تفكيرهم هذا ما جعل الروائي يتحدث أو يذكر بعض المأكولات وطريقة إعدادها ، ومن أهم المأكولات التي ذكرها ربيع جابر نجد:

---

[1] الرواية ، ص 14

[2] الرواية ، ص 16

كبة حيلة وهي أكلة شعبية لبنانية فيقول : "قصت كعوب السبانخ قاعدة في الظل عند حافة البئر رمت الدجاج بعد السيقان التي عضتها الدودة ثم نقعت الورق والعريض الأخضر في جرن الماء كي ينظف. غسلت فنجال برغل رفيع وبلته دقيقتين ثم فركته بالطحين رفضت ورق السبانخ في الشمس حتى جف ورتبته طبقة على طبقة فرمته دفعة واحدة قشرت بصلا وفرمته ناعما وأشعلت العيدان اليابسة في الموقد أمام الباب وقالت البصل بمزيج سمن بلدي وزيت زيتون وعندما ذبل وصفر لونه ألقت عليه السبانخ. ثم تابع قائلا على لسان أم جرحي أبو جرحي لا يرضى أن اطبخ كبه حيلة يقول نفسه لا تقبل اللبن المطبوخ لا يأكل الكبة إلا بلحمة وبالصينية، قالت هيلانة حنا يحب كثيرا حشوة السبانخ."[1]

لم يكتف ربيع جابر بذكر الكبة أو بأنواعها بل راح إلى وصف كيفية إعداد هذه الأكلة من بداية إعدادها إلى نهايته كما تطرق ربيع جابر تطرق أيضا إلى ذكر بعض المأكولات التي كان يشتهيها الدروز وهم في الحبس في قولهم:

"– صحن مجدرة مع سلطة بندورة

– طنجرة كشك بقورمة

– وقرع محشي، القرع أطيب من الكوسة والباذنجان.

– رغيف مرقوق دوغري عن الصاج بلبنة ساردالي.

– شوربة جزر ولحمة

– وكبة بالصينية مع سلطة ملفوف."[2]

وجل هذه المطبوخات والأكلات إن لم نقل كلها موروث شعبي لبناني ولا يزال حاضرا حتى في زماننا هذا

---

[1] الرواية ، ص 28-29

[2] الرواية ، ص 44

3-الأغاني الشعبية:

على عكس الملابس والاكلات المذكورة في الرواية التي تمثل الثقافة العربية فإن الأغنية الشعبية التي وردت في الرواية كانت قد مثلت الثقافة الغربية فهي أغنية تراثية صربية غنتها إحدى العاملات في حقل الآنسة نازلي هانم وأعادها رئيس الحرس العثماني، " استدار ورفع صوته موجها الأوامر بالتركية إلى جنود منتصبين في أحد الجلول كالفزاعات بلا حركة، أنبهم بلا سبب وظل صوته جميلا واستدار وبدا ناعسا غنى لها هامسا بالصربية الأغنية التي سمعها تغنيها حين هب الهواء قبل قليل، هنا تشرق مملك، الصرب هنا يسكن الحجل البري على حيطان بلغراد غربت إلى غير رجعة للمملكة العثمانية هنا تشرق مملكة الصرب هنا تميل ظهور الليلك ،بسيفه المستقيم كسر أميرنا جورج الشجاع سيوفهم الهلالية."[1]

هذه الأغنية التي يفهم من خلال كلماتها أنها تمجد أميرا من أمراء الصرب الذي يعتقدون أو يأملون منه تخليصهم من سلطة الدولة العثمانية المسلمة يوما ما.

4-العمران:

للتراث المعماري أهمية بالغه لدى الشعوب سواء تعلق ذلك بمراكز عمرانية كاملة أو مباني منفردة خاصة وتعد رواية دروز بلغراد من الروايات التي اشتغلت على المكان واتخذت من البناء المعماري العربي والغربي موضوعا لها، يقول السارد ربيع جابر في وصف أحد شوارع بيروت "انتبه حنا لألا ينزلق على بلاط الزقاق وراء الفان البحري الجديد وقبل أن يخرج من تحت الأعقاد والقبب. هذا الزقاق يشبه قبوا مفتوحا من الجهتين"[2]

---

[1] الرواية ، ص 52-53

[2] الرواية ، ص 21

يقول كذلك في وصف قلعة بلغراد التي حبس فيها حنا مع باقي الدروز القلعة كلها بانت مغسولة شبه رمادية مكسورة الرهبة لا تنذر بشر. الغريب أنها بدت مهجورة أيضا، الحامية التركية في بيليجراد ينوف عددها على 5000 جندي.

ومن هذا المقطع نستطيع القول أن ربيع جابر أوحى إلى أهميه العمران على نفسية ساكنيه حين قال أن هذه القلعة في هيئتها لا تنذر بشر ، أما بالنسبة للمدن والبلدان فإن الراوي أشار للعديد منها في كل فصول الرواية بداية من بيروت إلى بلغراد نهاية إلى دمشق.

"بعد البادية و كثبان الرمل أطلت مدينة سابحة بالخضرة ، رائحة البساتين جعلت الحمير تركض ركضا ،جذبها الماء وكأنه يشدها بسلسلة حديد(دمشق، الغوطة، المشمش). وزعوهم على خمسة خانات لم يجدوا مكانا للجميع لأن المدينة امتلأت بحجاج العراق وأذربيجان والقوقاز والساحل الممتد من طرابلس. الشام إلى صحراء غزة، البنغاليون صلوا في الجامع الأموي"[1]، فما كان ذكر كل هذه المدن إلا خدمة للسرد من دقة في الوصف وأخذ القارئ في جولة سياحية إلى العديد من دول الخلافة العثمانية و إعلانا لمدى شساعتها و التي كانت آنذاك تسيطر وتحكم نصف الخريطة الجغرافية العالمية وتبيانا للمسافة الكبيرة التي قطعها الدروز المساكين في رحلة دامت اثنا عشر سنة.

[1] الرواية ، ص 229

خامسا- النسق التاريخي والسياسي :

1- النسق التاريخي :

إن في توظيف التاريخ بأحداثه وشخوصه ومختلف بنياته ضمن العمل الأدبي هو توظيف يرنو إلى صياغة سردية جمالية لتاريخ حقبة زمنية ما ، والكاتب الذي يستلهم المادة التاريخية في تشكيل مكوناته الروائية لا يسعى في ذلك إلى كتابة التاريخ بل يرجو إسقاطه على الواقع الراهن وقولبته ضمن عمل أدبي فني متكامل .

"ولجوء الكاتب إلى التاريخ ليس القصد منه إعادة كتابة التاريخ، و إنما هو قراءة الواقع انطلاقا من رؤيتنا و موقفنا من التاريخ ، فسؤال اليوم يبحث في دواعي اللجوء إلى التاريخ و كيفية التعامل معه ، ثم كيف يعاد صوغه في عمل أدبي. "[1]

فالتاريخ إذن ضمن الرواية هو عودة الماضي نحو عرض الواقع الراهن ، عرض يبحث في تصحيح المسار وإعادة تهيئة الواقع الحاضر

لقد وظف ربيع جابر بطريقة ذكية نفحات من تاريخ بيروت وبعض مدن دول البلقان في زمن الخلافة العثمانية ، وخلق من السرد التاريخي عالما موازيا للسرد الخيالي ضمن الرواية ، فأنتجت هذه التوليفة عالمين :

عالم خيالي يتشاكل مع الواقع : وهو قصة خيالية لدروز عرب نفتهم السلطة العثمانية إلى دول البلقان ، إلى بلغراد تحديدا على خلفية مشاركتهم في الحرب القائمة بين المسلمين واقترافهم جرائم قتل في حق هؤلاء الصليبيين

---

[1] السعيد زعباط : رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد" بين الحقيقة التاريخية والمتخيل السردي ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2010-2011 ، ص 14

عالم واقعي يتشاكل مع الخيالي : ويتمثل في سرد أحداث تاريخية مستوحاة من الواقع فعلي ليسافر بالقارئ إلى زمن الخلافة العثمانية ، ليضفي نفحات من الخيال على سرده التاريخي

ويمكننا أن نلخص السرد التاريخي للحرب العثمانية الصليبية في بعض الوقفات التاريخي السردية المتفرقة

الوقفة الاولى :

بيروت 1860

" وقعت حرب أهلية في الجبل الذي يطل على بيروت وبعد معارك و مذابح دامت ثلاثة أسابيع كسر الدروز المسيحيين واستولوا على جبل لبنان ، عدوى القتل انتقلت على الألسنة و في الهواء إلى مدينة دمشق : أغار المسلمون بالبارود على حي النصارى أحرقوه ، جرت الدماء في أقنية الدواب وسط الدروب ، الناجون بجلدوهم نزحوا إلى بيروت".[1]

الوقفة الثانية :

قصف بلغراد 1862

"ارتفع السور مطلاً على نهر السافا بفتحات مخصصة لفوهات المدافع ، في ربيع 1862 مدوا السور إلى داخل الخط الحدودي الغامض المنصوص عليه في معاهدة بوخارست، قضموا أراضي

من السفح الغربي لبلغراد واقتحموا مملكة الصرب الخيالية.

التمعت الشمس على مطارقهم وهم يتحركون بين الحجارة بهمة أسلاف استصلحوا منحدرات جبل لبنان وعمروا الحقول المتدرجة، كانوا نهراً في بحر من الجنود ومن شغيلة أجراء وشغيلة سخرتهم

[1] الرواية ، ص 12

البواريد، لكنهم بالطاقيات البيضاء القطن الواقية من ضربة الشمس بدوا – خصوصاً للناظر من شرفة القلعة – العمود الفقري للورشة المرعبة القناصل حضروا بين يديه واحتجوا الروسي احتج باسم الصرب النمساوي احتج باسم النمسا الفرنسي احتج باسم العرب والنمسا وفرنسا معاً، الانكليزي ابتسم وختم أنه يحتج معهم جميعاً، كان يحمل مشطاً عاجاً صغيراً ويقلبه كأنثى بين أصابع طرية تشبه شرانق الحرير الكورسيكي ،راسم باشا نقل نظره بين مشط الشوارب والخريطة المعلقة على الحائط، وبتمهل رد أن المعاهدة تعطي الحامية التركية في بلغراد الحق كل الحق في المحافظة على تحصينات القلعة وترميمها ونحن لا نفعل ما يتعدى ذلك، القنصل الروسي أجاب بلا غضب أن المعاهدة تعني بهذا البند خصوصاً التحصينات القائمة ساعة توقيع المعاهدة ولا تعني التحصينات القاعة الساكنة التي كانت قائمة قبل ثلاثة قرون ولا الأسوار التي هدمها الجيش النمساوي حين استولى على القلعة طارداً الجيش العثماني من بلغراد سنة 1717 كانت جملة مفصلة ومحضرة سلفا ، هادئة هدوءا ضاعف جرعة السم فيها ، نشبت كهرباء في القاعة الساكتة إلى أن تكلم القنصل الإنجليزي : (أقترح اجتماعا تحضره كافة الأطراف لمناقشة التفاصيل).

بعد أيام قليلة قوص الصربيون من أبراجهم على بناة السور ، بينما الدم يسيل على الحيطان غير المكتملة أعطى راسم باشا الأمر للمدفعية وقصف السفح الغربي لبلغراد"[1]

[1] الرواية ، ص 83_84

2- النسق السياسي:

تعد السياسة من أهم المحاور الفكرية التي تحرك السرد ضمن العمل الأدبي ، والرواية بشكل أو ماهي إلا تعبير عن فكر و إيديولوجية و توجه الكاتب، "إن الرواية العربية المعاصرة مهما تنوعت مواضيعها وتعددت أبعادها الاجتماعية و الواقعية ، جنحت إلى الحداثة الشكلية و التنويع الفني ، فإنها تعبر عن الأطروحة السياسية إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، لذلك نقول : إن الأطروحة السياسية حاضرة في كل الخطابات والفنون والأجناس الأدبية ، و تتمظهر بجلاء و وضوح في الرواية التي تعكس نثرية الواقع وصراع الذات مع الموضوع....."[1]

وقد أضفى الروائي ربيع جابر في عديد المقاطع السردية ضمن أحداث رواية دروز بلغراد نفحات سياسية ، لينتقل بنا من عوالم التاريخ الغابرة إلى الآني الذي يتخبط فيه العالم الإسلامي والصراع العقائدي في لبنان بين المسلمين و المسيحيين، إضافة إلى ذلك الانقلابات التي كانت تحدث آنذاك في مختلف الأمصار التي تحت حكم الخلافة العثمانية .

"بكره علي قضى في كمين خارج دير القمر ، بهاء الدين جرحته السيوف وقعة زحلة و لفظ أنفاسه بجوار قلعة حاصبيا ، بقي للشيخ غفار خمسة أبناء و هؤلاء محابيس عند اسماعيل باشا الهنغاري ينتظرون مع 550 درزيا السفن التي ستأخذهم إلى المنفى في طرابلس الغرب وفي بلغراد "[2]

لسان شخصية إسماعيل باشا مخاطبا الشيخ غفار عز الدين " سأخدمك ياشيخ غفار من أجل مكانتك عند قومك ومن أجل منزلتك بين أقرانك المشايخ الذين لم يردوا طلبا لأبي الوزير مصطفى باشا مع العاصي إبراهيم المصري ....."[3]

---

[1] ينظر : جميل حمداوي ، الرواية السياسية و التخييل السياسي ، مجلة الكلمة ، ع 4 ،ابريل 2007

[2] الرواية ، ص 16

[3] الرواية ، ص 20

" ضحك اسماعيل باشا وسبقه مرة أخرى : (هل تعرف أن الدعاوي المقدمة ضد أبنائك من المسيحيين ضد أولادك أكثر من الدعاوي ضد سعيد بيك جنبلاط ذاته ؟"[1]

" ....وقعت حرب أهلية في الجبل الذي يظلل بيروت وبعد معارك و مذابح دامت ثلاثة أسابيع كسر الدروز المسيحيين و واستولوا على جبل لبنان ، عدوى القتل انتقلت على الألسنة وفي الهواء إلى مدينة دمشق أغار المسلمون على حي النصارى و أحرقوه ، جرت الدماء في أقنية الدواب وسط الدروب "[2]

هكذا مزج ربيع بين السياسي والتاريخي واصفا حال هذه الأمة في الماضي البعيد ، في محاولة إسقاط تلك الحال آنذاك على حال الأمة وما تتخبط فيه من صراعات ، وكأن حال لسانه يقول : (التاريخ يعيد نفسه دائما).

[1] الرواية ، ص 18

[2] الرواية ، ص 12

خاتمة

وفي نهاية دراستنا التي رحلت بنا إلى عالم النقد الثقافي و سمحت لنا بسبر أغواره ، يمكننا أن نلخص أهمما توصلنا إليه في مجموعة من النتائج :

ـ أن ما تفرزه الثقافة هو ما ترتكز عليه المقاربة النقدية الثقافية في دراسة الخطابات الأدبية على اختلاف أنواعها

ـ تأسس النقد الثقافي كرد فعل على المقاربات النقدية البنيوية في الغرب ، ثم انتقل إلى الأبحاث العربية فكان عبد الله الغذامي الرائد و السباق في دراسة هذا المجال

ـ اعتمد النقد الثقافي على مجموعة من المناهل التي استمد منها مادته في عملية التحليل جمعها الباحثون في ثلاث مرجعيات أساسية : الدراسات الثقافية والتاريخانية الجديدة والمادية الثقافية

ـ استلهم النقد الثقافي أدواته في تحليل الخطابات والنصوص الأدبية من آليات التحليل النفسي وعلم الإجتماع والسيميولوجيا وكل ما له علاقة بالثقافة

ـ يقوم النقد الثقافي على مجموعة مبادئ و مرتكزات تشكل العمود الفقري للتحليل الثقافي ، أهم هذه المبادئ : الوظيفة النسقية – الدلالة النسقية – الجملة الثقافية–المجاز الكلي – التورية الثقافية – المؤلف المزدوج

ـ تعتبر نظرية الأنساق الثقافية أهم ما أنتجه النقد الثقافي، فهو في أساسه وجوهره يقوم على تتبع ورصد حركة الأنساق الثقافية التي تكون في الغالب مضمرة و متخفية يمررها الكاتب بوعي أو بدون وعي في العمل الأدبي

خاتمة

_استطاع الكاتب ربيع جابر من خلال روايته " دروز بلغراد حكاية حنا يعقوب " ، أن يطرح مجموعة من القضايا المستمدة من الواقع وربطها بالخيال معتمدا على تفاعل الأنساق مضمرة كانت أم معلنة لتمنحه مجالا سمح له بتمرير فكره

_ يعد النسق الديني الأساس الذي انطق منه الكاتب ، معتمدا في ذلك على الصراع العقائدي الإسلامي المسيحي

_إن تعرية النسق النفسي وكشف مضمراته يسدل الستار عن مختلف التفاعلات النفسية المكونة للرواية والتي ترتكز على : جدلية الخوف و امتلاك الشجاعة في مواجهة مختلف المصائب و الآلام ، الاغتراب والتغرب كمأساة نفسية وكظاهرة اجتماعية تثقل كاهل المجتمعات العربية قديما وحديثا

_ طرح الكاتب في سطور روايته إحدى أهم مظاهر التخلف الفكري الفردي والمجتمعي ، ظاهرة الطبقية الاجتماعية التي لخص مضمونها في حدث سردي واحد

_ رغم كون الرواية تحكي قصة مجموعة من المساجين ورحلتهم في المنفى ، إلا أن الكاتب لم يهمل المرأة ودورها في الحياة ، وجعل لها مكانة خاصة في مختلف فصول روايته

_ في خضم الصراع الحضاري بين الشرق و الغرب عمد الكاتب إلى إبراز أهم مقومات الثقافة العربية الأصيلة من جمع بعض قطع التراث العربي التي تمثلت في اللباس الشعبي و بعض المطبوخات

_ مزج الكاتب بين السياسي و التاريخي وكان لهما دور أساسي في تحريك السرد ، من خلال سرد مجموع الأحداث التاريخية والصراعات السياسية في زمن الخلافة العثمانية ، سواء بين السلطة العثمانية والدول المعادية المسيحية على خلفية التوسعات والفتوحات أو الانقلابات و المحاولات الساعية إلى الخروج من حكم الدولة العثمانية في بعض الإمارات التابعة لها .

شكر وعرفان :

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على فضله وكرمه ورحمته وتفريج كرب لم نكن لنتجاوزها لولا رحمته بنا.

وأتوجه بجزيل عبارات الشكر و التقدير و الامتنان لأستاذتي الفاضلة الدكتورة

" غنية بوضياف"التي يعود لها الفضل كل الفضل في إكمال هذا البحث بالتوجيه، والنصح والإرشاد ، فقد كانت أكبر معين لي في كل صغيرة وكبيرة دون كلل أو ملل و التي كانت عبارات الثناء التي مدحتني بها يوما ما بلسما داوت به كل جراحي و أزاحت به تراكم الغيوم عن سمائي وطوق النجاة الذي كنت في حاجته في لحظات الغرق

أدامها الله نورا نهتدي به في سبيل العلم ومنارة ترشدنا في بحر الأدب و وفقها لما يحب ويرضى

والشكر موصول كذلك لكل من قدم يد العون من أساتذة الأدب العربي كل باسمه ومقامه حفظهم الله و رعاهم

شكرا لكل الزملاء و الأصحاب و الأقارب الذين لم يبخلوا بتقديم الدعم المادي و المعنوي وكل من ساهم في إكمال هذا البحث من قريب أو بعيد

الملاحق

ملخص الرواية

تشكلت أحداث الرواية من نسيج التفاعلات والتداخلات التي أنتجتها الصراعات الثقافية العقائدية وما تحتويه من أنساق دينية نفسية اجتماعية وتاريخية سياسية .

تدور أحداث الرواية في بدايتها في مدينة بيروت اللبنانية التي نشأ فيها بطل الرواية بائع البيض حنا يعقوب و زوجته و ابنتهما ، ثم تأخذ الرواية منعطفا غير الأحداث ، هذا المنعطف الذي تمثل في تورط حنا مع مجموعة من المحكوم عليهم بالنفي والحبس رغم براءته ، يتعرض حنا لأشد أنواع التعذيب الجسدي و النفسي رفقة الدروز ، في خضم كل هذه المآسي يوضح الكاتب ترابط وتكاتف المساجين فيما وتقديم يد العون ومواساتهم لبعضهم البعض في أحلك الأيام و أشدها قساوة.

تعتبر رواية دروز بلغراد من رواية واقعية بامتياز حيث أنها تكاد تخلو من الخيال ، فهي تصف وبشكل دقيق حال المجتمع البيروتي في بدايتها لتنتقل إلى وصف مختلف مدن و مجتمعات بعض دول الخلافة العثمانية آنذاك .

اعتمد الكاتب في سرد أحداث الرواية على اختلاف الإيديولوجيات العقائدية والاجتماعية والسياسية مشكلا بذلك تنوعا فكريا ساهم في تمرير أفكار الكاتب بين ثنايا فصول روايته عبر شخصيات الرواية.

أبرز القيم التي تحدث عنها الراوي كانت قيما حميدة كالتسامح و مساعدة الغير و التمسك بما يؤمن به المرء الوفاء في شخصية زوجة حنا (هيلانة) التي انتظرت زوجها لمدة فاقت اثنا عشر سنة رغم جهلها بحالته حيا كان أو ميتا .

ليختتم ربيع جابر روايته ويكمل رحلتنا التي أخذنا بها إلى عصر الخلافة العثمانية بنهاية سعيدة تمثلت في عودة حنا إلى أحضان عائلته .

قائمة المصادر والمراجع

1_المصادر:

- ربيع جابر ، دروز بلغراد حكاية حنا يعقوب ، منتدى سور الأزبكية ، المركز الثقافي العربي و دار الاداب للنشر و التوزيع ، ط1 ن، بيروت ، لبنان ، 2011.

2_المراجع

المعاجم اللغوية:

- احمد ابن فارس: مقاييس اللغة ، تحق: عبد السلام هارون، دارالفكر للنشر والتوزيع، مصر، دط.

- مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م.

- أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور: لسان العرب ، دار صادر ، بيروت، دط، دت .

- ابراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكير ،دار المسيرة، عمان ،الأردن، ط4، 2011م.

- إديث كروزويل: تر: جابر عصفور، عصر البنيوية، دار الصباح سعاد ،الكويت، ط1،دت.

- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني عشر حتى القرن الثامن عشر ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، طبعة4، 1983م.

- أحمد يوسف . القراءة النسقية .سلطة البنية . الدار العربية للعلوم والنشر .ط1 د ت . 2007.

- إيمان بوقلاح: التقد الثقافي والتاريخانية الجديدة، مجلة كلية الأداب واللغات ،عدد:1 ،جامعة خنشلة ، الجزائر، د.ت.

- جميل حمداوي ، الرواية السياسية و التخييل السياسي ، مجلة الكلمة ، ع 4 ،ابريل 2007

- جميل حمداوي: نحو نظرية أدبية نقدية جديدة ، دار الريف للطبع والنشر الالكتروني ، الناظور ، تيطوان، المملكة المغربية، ط1، 2016م.

- دينيس كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، تر: منير السعيداني ، المنظمة العربية للترجمة ،بيروت، لبنان ، ط1، 2007م.

- سعد البازغي، ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي. إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا،المركز الثقافي المعاصر، المغرب، ط3، 2002م

- حسن حنفي : من العقيدة إلى الثورة ، دار التنوير ، القاهرة ، 1988 .

- شوقي ضيف: فنون الأدب العربي ، النقد ،دار المعارف، القاهرة ،ط5 ،دت.

- صلاح قنصوة: تمارين في النقد الثقافي ، دار ميردت، القاهرة، ط1 ،2008م.

- عبد العزيز حمودة، المزايا المحدبة من البنية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة ، الكويت، دط، دت.

- العمري بوهزة ، مهدية ساهل ، الأنساق الثقافية : المفهوم والاشتغال.

- عبد الله ابراهيم ، الثقافات العربية والمرجعيات المستعارة ، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.

- عبد الله الغذامي – عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي؟، دار الفكر ،دمشق، سوريا، ط1، 2004م.

- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، المركز الثقافي العربي ، المملكة المغربية ، الدار البيضاء ،ط3، 2005م.

- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة ، تر: عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ،بيروت ،لبنان ،2000م.

- عبد المالك مرتاض : في نظرية النقد ، دار هومه ، الجزائر، 2010م.

- عبد الملك مرتاض : نظرية الرواية –بحث في تقنيات السرد- ، عالم المعرفة ، الكويت 1998.

- مايكل دينينغ: الثقافة في عصر العوالم الثلاث : تر:أسامة العزولي ، المجلس الوطني للثاقفة والفنون والآداب، الكويت ، دط،2013م.

- محمد عبد المعبود مرسي ، علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي : دراسة تحليلية نقدية ، كلية القصيم ، السعودية ، ط 1 ، 2000.

- محمد مفتاح . التشابه و الاختلاف .المركز الثقافي العربي د ط. د ت.

- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباءالحديثة للطباعة والنشر، قاهرة، ط2005،5م.

- ميجان الرويلي ، سعد البازغي : دليل التقد الأدبي، مركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،المغرب ،ط3 ،2000م.

- نعمان بوقرة:المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتاب للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، 2006م.

- كارل ماركس و فريديريك انجلز ، الايديولوجية الالمانية : تر فؤاد أيوب ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2016.

- كمال أبو ديب : جدلية الخفاء و التجلي دراسات بنيوية في الشعر ، دار المعلم ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت.

الجرائد والمجلات:

- سعيد حمداوي : صورة المرأة في المعتقدات الشعبية ، الملتقى الأول للموروث الشعبي ، محاضرات الندوة الفكرية السادسة ، مطبعة مزوار للنشر والتوزيع ، الوادي ، الجزائر ، 2006.

- مجلة إشكالات في اللغة والأدب، عدد 6، معهد الآداب واللغات ،تمنراست،الجزائر، ديسمبر 2004م.

- مجلة الآداب والعلوم الانسانية ، عدد 2 ، جامعة الجزائر2، 2021.

- مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية، ع2 ، مج 14 ، 2017.

- مجلة جامعة بابل ، عدد1، مج 22، كلية العلوم الانسانية ، العراق، 2014م.

- مجلة دمشق ، مج 30 ، عدد 4 ، 2014 .

- مجلة كلية الآداب واللغات ، عدد 1، د.ت، جامعة خنشلة.

- مصطفى الضبع: "أسئلة النقد الثقافي ، مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم ، المنيا 23-26 سبتمبر 2003م.

الرسائل الجامعية:

- السعيد زعباط : رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد" بين الحقيقة التاريخية والمتخيل السردي ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2010-2011 .

فهرس الموضوعات

الفهرس

مقدمة ..... 4Erreur ! Signet non défini.

تمهيد: 7

أولا : النقد الثقافي 8

1-تعريف النقد: 9

1-1 لغة: 10

1-2 اصطلاحا: 11

2-تعريف الثقافة: 12

2-1- لغة: 12

2-2- اصطلاحا : 13

3 مفهوم النقد الثقافي: 14

4- أصل ونشأة النقد الثقافي : 16

4-1- التاريخانية الجديدة : 17

4-2- الدراسات الثقافية: 17

4-3- المادية الثقافية : 18

أ- علم الاجتماع:.....19

ب- التحليل النفسي : 19

ج-علم العلامة (السيمولوجيا): 20

ثانيا: تعريف النسق 22

1-لغة: 22

2- اصطلاحا : 23

ثالثا: خصائص النسق الثقافي 24

1- التمييز والتكرار : 24

2- معطى أولي: 24

3- الحركية والتحول: 25

رابعا: وظيفة النسق الثقافي.....25

خامسا: آليات الكشف عن الأنساق.....27

1-المجاز الكلي : 28

2- التورية الثقافية :.....27

3 -الدلالة النسقية :.....27

4- الجملة الثقافية :.....29

5- المؤلف المزدوج: 28

سادسا: أنواع الأنساق : 30

1- النسق الثقافي : 29

2- النسق الاجتماعي:.....31

2- النسق الفلسفي: .....Erreur ! Signet non défini.

3- النسق الإيديولوجي : 32

الفصل الثاني: 34

الأنساق الثقافية في رواية دروز بلغراد.....35

تمهيد : 36

أولا: النسق الديني : 37

1- جدلية الصراع الإسلامي / المسيحي: 37

2- جدلية الإيمان بين القوة والضعف: 39

ثانياً:النسق النفسي.....41

1-جدلية الخوف والشجاعة في مواجهه الآلام.....41

2الاغتراب:.....43

ثالثا–النسق الاجتماعي.....45

1–الطبقية الاجتماعية.....45

2–المرأة/ الهامش.....46

رابعا–نسق الموروث الشعبي: ... .49

1–اللباس الشعبي.....50

2–المطبوخات 50

3–الأغاني الشعبية.....52

4–العمران: 52

خامسا– النسق التاريخي والسياسي : 54

1– النسق التاريخي : 54

2– النسق السياسي:.....57

خاتمة.....60

الملاحق.....64

فهرس الموضوعات.....74

ملخص الدراسة:

تمكنت الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة من إثبات نجاعة النقد الثقافي في معالجة وتحليل الخطابات و الأعمال الأدبية على اختلاف أنواعها ، ويعود ذلك إلى كون هذا النوع من النقد يعتمد و يقوم على عملية كشف حركية الأنساق الثقافية في النتاج الأدبي ، متخطية في ذلك الجمال الفني نحو رصد المضمر الثقافي

وفي دراستنا لرواية دروز بلغراد حاولنا إبراز الأنساق الثقافية المعلنة و استكناه الأنساق المضمرة التي سبحت في فلك الدين ، النفس ، المجتمع ، السياسة والتاريخ

وكنا قد قسمنا دراستنا للبحث عن الأنساق إلى فصلين اثنين ، فكان الفصل الأول نظريا يحتوي على أهم المفاهيم الخاصة بالنقد الثقافي والنسق الثقافي ، أما الفصل الثاني فقد حاولنا فيه فك رموز الأنساق الثقافية في الرواية قيد التحليل انطلاقا من الأنساق الدينية ، النفسية ، الاجتماعية وصولا إلى السياسية و التاريخية التي من خلالها حاول الكاتب تمرير فكره و إيديولجياته بصورة لا واعية مضمرة في عمله الأدبي الإبداعي .

Study summary

Modern and contemporary critical studies have been able to prove the efficacy of cultural criticism in addressing and analyzing discourses and literary works of all kinds.

In our study of the Belgrade Druze novel, we highlight the declared patterns and try to discover the implicit patterns that floated in the sphere of religion, the soul, society, politics and history.

And we had divided our study to search for patterns into two chapters of religion, the first chapter theoretically containing the most important concepts of cultural criticism and the cultural pattern, while the second chapter we tried to decipher the cultural patterns in the novel under analysis starting from the religious, psychological, social and political systems. And the historical through which the writer tried to pass his idea and ideologies unconsciously implicit in his creative literary work.